١٥

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

عُمان

تاريخًا وعُلَمَاء

ترجمة
محمد أمين عبد الله

أغسطس ١٩٨٠

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ٢١٠
الرقم الخاص :

تقديم

لمعالى السيد فيصل بن على آل سعيد

وزير التراث القومى والثقافة

لقد كان ، ولا يزال ؛ للشعب العمانى فى مكانه الجغرافى ، وفى منزلته التاريخية ، حياة طويلة وعريضة ، عاشها فى أضواء باهرة من النشاطات التى خط بها العمانيون حياتهم فى شتى بقاع الأرض التى حلوا فيها ، أو فى تلك التى عرفوها أثناء رحلاتهم البرية والبحرية ، أو المذهبية والفكرية .

وقد نال تاريخ الشعب العمانى اهتماما متزايدا من المؤرخين على اختلاف أجناسهم وأهوائهم ولغاتهم ، عمانيين ، أو عربا ، أو أوربيين ؛ أو هنود أو صينيين ، وعلى شتات أزمانهم ، قدامى ومحدثين .

وكان لابد أن تعمد وزارة التراث القومى والثقافة إلى هذه المؤلفات ، فتختار منها مايستأهل النشر ، موجزاً كان أو مبسوطا ، تطبعه وتنشره ، حتى يجد الباحثون أمامهم مختلف المراجع التى تفيدهم فى دراساتهم التى يستهدفون منها الكشف عن حقائق شعب عمان الأصيل ، وعن دوره التاريخى الذى أسهم به فى مجال الحضارة

الإنسانية ، وليجد النشء العمانى تاريخ آبائه وأجداده مبسوط
أمام ناظريه، قبسا من نور يهتدى به فى مسيرته الحضارية الحديثة .

وإنه ليسعدنى أن تقدم الوزارة فى سلسلة « تراثنا » الشهرية
هذا الجزء الذى يضم بين دفتيه كتيبين صغيرين فى الحجم، وكبيرين
فى معنى الإفادة والمعرفة .

وأسأل الله تعالى ، أن يوفقنا جميعا لما فيه خيرنا ، وأن يبارك
لنا فى خطواتنا ، مؤيدين بعناية راعينا ، السلطان المعظم ،
قابوس بن سعيد

فيصل بن على آل سعيد
وزير التراث القومى والثقافة

القسم الأول

موجز تاريخ عمان

« من مصادر أجنبية مختلفة »

تحتل عمان أقصى الزاوية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، ويفصلها عنها فلاعات كبيرة من الأراضى الصحراوية غير المأهولة ، وإلى جانب هذا يحدها البحر من الأطراف الأخرى ، بحيث تبدو وكأنها معزولة ، وعلى الرغم من عدم إمكان الوصول إلى بعض أجزاء عمان من البحر ، فإن سلاسل جبالها التى ترتفع شامخة ، ويبلغ ارتفاعها فى منطقة الجبل الأخضر نحو عشرة آلاف قدم ، قد ساعدت على أن يحافظ العمانيون على تقاليدهم القومية ، لتعذر الوصول من بعض أجزاء البلاد إلى بعضها الآخر ، وإن حجم العزلة التى فرضتها الطبيعة على عمان من خلال الوديان العميقة التى تشطرها كل هذا قد ساعد على عزلتها ، وعلى وجود تلك الاختلافات القائمة فى الأصول القبلية .

وتذكر الروايات أنه خلال القرون الأولى الستة للميلاد استوطن أرض عمان قبيلتان عربيتان ، هما قبيلة اليمن ، وقد نزحت إليها من جنوب غرب الجزيره العربية ، وقبيلة نزار التى نزحت عن

طريق نجد ، وقد حلت القبيلتان محل الفرس الذين كانوا المسيطرين على البلاد .

وفى عام ٥٧٠ بعد الميلاد اجتاح الفرس عمان مرة أخرى ، وعلى أية حال فقد استمر ملوك الجلندى يسيطرون على الجزء الداخلى دون دفع أى جزية للفرس الذين اكتفوا بالسيطرة على المنطقة الساحلية من البلاد ، وكان لهم نائب إمبراطور فى مدينة صحار .

وقبل وفاة النبى صلوات الله وسلامه عليه ، طلب العمانيون الدخول فى الإسلام . وقد ساعد ذلك على الثورة ضد الفرس وطردهم من عمان .

وفى أيام الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان الخليفة الرابع للمسلمين وقعت أحداث أدت إلى انفصال بعض أنصاره عليه ، وتمسكوا بوجهة نظرهم حول مفهوم الخلافة ، والذى يقوم على اختيار الخليفة على أساس الكفاءة والسلوك ، وخلعه فى حالة انحرافه عن ذلك المبدأ .ولقد لقيت دعوتهم استجابة واسعة فى عمان ، حيث كان الإباضيون قد استقروا فيها وأسسوا دولتهم الإسلامية على ذلك النمط .

وعلى أثر قيام الخلافة العباسية فى بغداد عام ٧٥٠ م قام

العمانيون بثورة ، غير أن الحملة التى أرسلت من العراق عام ٧٥٢ م تمكنت من قمع تلك الثورة ، ولكن فى عام ٧٩١ م تمكن إباضيو عمان من استعادة مركزهم ، وانتخبوا إماما منهم ، فى مدينة نزوى .

وفى نهاية القرن التاسع الميلادى وبعد أن تعرضوا لحملات متتالية من جانب الخلفاء ، فشلت كلها فى إخماد جذوة العقيدة الإباضية ، استطاع العمانيون الحفاظ على استقلالهم مقابل دفعهم الزكاة السنوية للخلفاء .

ولاتوجد معلومات دقيقة عن الصلاحيات العلمانية للأئمة الإباضية خلال عهودهم الأولى . وهناك من ارتأى بأن الإمامة فى عمان قد اكتسبت سلطتها من خلال نضالها الطويل إبتداء من من القرن التاسع فصاعداً ، لكى تحافظ على كيانها كوحدة مستقلة .

وبحلول القرن الحادى عشر أخذ الإمام يمارس السلطة الروحية والزمنية معا ، وكان يتم تعيينه بالانتخاب من جانب كبار زعماء البلاد واتباعهم ، وفى حالة انحراف الإمام أو فقده للشعبية فإنه يعزل ، ولقد مضت فترة طويلة كان يتم انتخاب الأئمة فيها من بين القبائل ذات الأصل اليمنى .

وخلال القرنين العاشر والثالث عشر الميلادى استهدفت عمان لسلسلة

من الاعتداءات الخارجية من القرامطة ، ثم الخلفاء ، والفرس (الذين تمكنوا من الوصول إلى منطقة الجبل الأخضر) ثم الكدمانيين والسلاجقة والغزنويين والمغول ، أما فى القرن الخامس عشر فإن الوضع على مايبدو ، أن الملوك النبهانيين كانوا يحكمون المنطقة الشمالية ، بينما كان الأئمة يحكمون قلب عمان ، أى المنطقة التى تحيط بنزوى ، أما الفرس فقد كانوا يسيطرون على المنطقة الساحلية .

وشهد القرن الثانى عشر وصول البرتغاليين إلى عمان ، وكانوا قد سيطروا فى مراحل متفاوتة على الكثير من المناطق الساحلية بما فى ذلك مسقط (التى بنوا فيها قلعتى الجلالى عام ١٥٨٦ والميرانى ١٥٨٨) وفى كل من قلهات وخور فكان وصحار سنه ١٦١٧ .

ومن خلال الحروب الأهلية التى اندلعت فى عمان أخذ نجم النباهنة فى الأفول ، فانتخب ناصر بن مرشد من اليعاربة إماما فى الرستاق ، التى أصبحت على مايبدو عاصمة حكم اليعاربة . وبعد أن استتب لهذه الفئة الأمر داخل البلاد أعلنوا الحرب على البرتغاليين وتمكنوا من الانتصار عليهم .

وبعد سقوط هرمز فى أيدى البريطانيين والفرس عام ١٦٣٢ قام البرتغاليون بدعم وسائل الدفاع عن عمان ، فأنشأوا أسواراً

حول مسقط ، وحفروا الخنادق كما بنوا رصيفا للسفن تحت قلعة الميرانى ، كما أنشأوا عددا من الأبراج للسيطرة على مداخل البلاد .

وفى العام ١٦٥٠ ، أى بعد انقضاء عام على وفاة الإمام ناصر بن مرشد ، طرد البرتغاليون نهائيا من عمان بفضل الحملة التى قادها سلطان بن سيف ابن عم الإمام ناصر بن مرشد والذى خلفه فى الحكم .

ولقد وضع هذا الإمام الخطط الكفيلة بتطوير ودعم قوة عمان البحرية لحماية سواحلها وتجارتها البحرية ضد القرصنة البرتغالية ، وأضاف إلى الأسطول التجارى العمانى عدداً ملحوظا من السفن ، كما كان يشترك بنفسه فى الأعمال التجارية مقدما المثل لمن جاء بعده من الائمة ، الأمر الذى انتقده البعض من الوجهة الدستورية .

وفى عصره تم وضع خطط عديدة لحملات بحرية تهدف إلى مطاردة البرتغاليين ولتصفية تدخلاتهم حتى المياه الإقليمية الهندية وإفريقية الشرقية ، الأمر الذى هيأ الفرصة لحكام عمان للاستيلاء على ممباسة ، أما فى داخل عمان فقد بنيت تلك القلعة المستديرة فى نزوى ، واستغرق بناؤها اثنى عشر عاما .

وفى أعقاب وفاة سلطان بن سيف عام ١٦٧٦ استؤنف القتال ضد البرتغاليين بقيادة نجل الإمام الراحل ، وخلفه ، الإمام بلعرب بن سلطان ، فقد شن اليعاربة سلسلة من الحملات على المستعمرات البرتغالية فى الهند ، والإمام بلعرب هو الذى بنى حصن جبرين ، وافتتح مدرسة لتدريس علوم الفقه واللغة فى نزوى .

وفى أعقاب نشوب الحرب الأهلية عام ١٦٩٢ توفى الإمام بلعرب منتحرا .

وانتخب مكانه خصمه وأخوه سيف الذى استمر حكمه حتى عام ١٧١١ وهو العام الذى توفى فيه فى الرستاق .

وفى عهد هذا الإمام بلغت قوة عمان البحرية ذروتها ، وقد اتسم عهده بحروب متواصلة ضد البرتغاليين ، وضد القرصنة البحرية فى المنطقة ، نظرا للهدوء السياسى الذى ساد البلاد بسبب التحول الذى طرأ على سياسة المغامرة والنزعة إلى الحروب والتجارة مع الخارج .

وقد بنى قسم كبير من أسطول الإمام سيف على الطراز الغربى ، كما تم استخدام بعض الربابنة البريطانيين فى سفن أسطوله . وإلى

هذا اليوم بعزى الفضل فى إدخال زراعة النخيل بشكل واسع فى عمان إلى هذا الإمام .

وقد تمت عمليات ناجحة فى عهده ضد السواحل الفارسية والهندية.

ففى عام ١٦١٦ — ١٦٩٨ م خرجت من عمان حملة بحرية إلى شرقى إفريقية ، ونجحت الحملة فى إخضاع كل من ممباسة وزنجبار ، وبمبا ، وباتا ، وكلوا . غير أن السلطة العمانية لم تترسخ إلا فى الأولى . وفى بداية القرن الثامن عشر كان أسطول عمان يعد من القوى البارزة فى منطقة المحيط الهندى .

وبعد وفاة الإمام سيف تولى الحكم أكبر أنجاله سلطان ، الذى قام بنقل العاصمة إلى الحزم ، حيث شيد قلعة بتكاليف باهظة ، واعتبرت القلعة الثانية بعد قلعة نزوى . وقد واصل سلطان حروبه ضد الفرس والبرتغال الذين كانوا قد وحدوا قواهم لإبادة الأسطول العمانى ، وذلك قبل وفاة سلطان عام ١٧١٩ م ، وكان نجله سيف لايزال يومئذ فى الثانية عشر من العمر ، وقد نتج عن ذلك نزاع حول خليفة الإمام سلطان .

وتم انتخاب سلطان الثانى إماما ، غير أن أحد اقاربه ، وهو مهنا ، تمكن من خلعه ، ثم جاء يعرب فخلع الإمام الثانى ، وكان يعرب قد تولى السلطة كوصى فى البداية ، ثم انتخب

إماما فيما بعد ، بتأييد جامع من بنى ريام ، غير أن هذا الإمام أرغم هو الآخر على التنازل لصالح يعربى آخر ، هو بلعرب ابن ناصر المؤيد بن بنى هناه ، ثم أعيد انتخاب سيف مرة أخرى كإمام فى كل من نزوى والرستاق وأسندت الوصاية إلى بلعرب .

وعلى أية حال فقد أندلعت الحرب الأهلية فى هذه الأثناء مرة أخرى بسبب خلاف ثار بين بلعرب وبين زعيم الغافرية ، محمد بن ناصر ، فقد تزعم الأخير اتحادا قبليا من القبائل الشمالية (بنى غافر ، والنعيم ، وبنى قتب ، والقواسم ، ويال كعب) وكانوا معارضين لبلعرب ، الذى اعتقل وأودع السجن ومعه مجموعة من قبائل بنى هناه ، والمعاول ، والعوامر ، ويال وهيبه ، والحرث ، والحبوس .

وفى عام ١٧٢٤ انتخب محمد إماما ، غير أن الحروب بين تلك القوى استمرت أربع سنوات أخرى ، حتى قتل محمد ، وخصمه الهناوى خلف بن مباوك ، الملقب بالقصير ، وذلك خلال معركة فى صحار :

ومن ثنايا الحروب الأهلية التى خاضتها القبيلتان تحت زعامة كل من الهناوية والغافرية اشتقت أسماء الطوائف القبلية التى تتألف

منها القبائل العمانية . ويرى البعض أن ذلك الإنقسام كان لمصلحة القبائل ؟

فقد كان القسم الهناوى منها ينتمى إلى القبائل المنتمية للمذهب الإباضى ، بينما كان النزاريون يستمدون تأييدهم القبلى من القبائل النزارية من أتباع المذهب السنى إلى حد كبير . وأيا كانت أصول أو انتماءات القبيلتين الرئيسيتين فإن ذلك الرأى لايفيد منه كثيرا فى الزمن الحاضر ، فلقد تنازلت القبائل عن انتماءاتها أكثر من مرة ، والجزء الأكبر من هذا التنازل قد تم فى أوساط بنى نزار من الغافرية الذين أصبحوا يلقبون أنفسهم بالهناوية ، وفى الوقت نفسه ظل الغافرية حتى وقت قريب ، يخضعون فى زعامتهم لشيخ من بنى ريام ، الذى يرجع سلالته إلى الأصل اليمنى .

وفى عام ١٧٢٨ م بعد وفاة محمد بن ناصر أعيد انتخاب سيف أماما ، كما انتخب ابن أخيه بلعرب بن حمير أماما على منطقة الظاهرة ، ولما كان سيف يتخذ من مسقط مركزاً له فقد استطاع السيطرة على الأسطول مستمدا التأييد من الشرقية ، ومن الباطنة ومن بنى هناه ، بينما كان بلعرب يسيطر على الجزء الأكبر من المنطقة الداخلية بتأييد من النزاريين .

وفى عام ١٧٣٦ م بعث الإمام سيف وفدا إلى مكران لتجنيد

بعض سكانها للاستعانة بهم فى شن حملة ضد بلعرب بالتعاون مع عرب الساحل ، غير أن الحملة منيت بالهزيمة .

وفى عام ١٧٣٧ نزلت القوات الفارسية فى عمان ، وتعاونت مع الإمام سيف ، ثم عاد سيف بتأييد الفارسيين عام ١٧٤٢ ضد منافس آخر ، وقد تحركت القوة الفارسية واحتلت مسقط .

وفى عام ١٧٤٣ توفى الإمام سيف وخلفه أحمد بن سعيد البوسعيدى الذى كان قد عينه الإمام سيف حاكما على صحار ، ونجح هذا القائد فى طرد الفرس من عمان ، وكنتيجة لهذا العمل انتخب أحمد فى عام ١٧٤٤ م إماما على عمان ، وأعقب ذلك نشوب صراع مسلح ضد بلعرب بن حمير ، الذى وضعت هزيمته فى عام ١٧٤٩ نهاية لحكم اليعاربة .

وتعتبر المرحلة اليعربية فى التاريخ العمانى نقطة بارزة من حيث درجة التطور الذى مرت به المصالح العمانية ، فعاصمة الحكم التى ظلت فى عهود الأئمة السابقين فى مناطق داخلية بعيدة كنزوى ، وبهلا ، وأزكى ، انتقلت إلى الرستاق ، وهى منطقة استراتيجية ، تتيح السيطرة على الشئون الداخلية للبلاد ، كما أن للرستاق مزية أخرى ، وهى قربها من الساحل العمانى ، مما يسهل الإشراف على التوسع الملاحى للبلاد . وتبعا لذلك فقد ساهم وجود اليعاربة فى

الحكم على عمان فى تسهيل عمليات الاستفادة من العوامل الجوية فى تسيير الرحلات التجارية بشكل أنجح ، من وإلى إفريقية الشرقية والهند

بيد أن إقصاء البرتغاليين من قواعدهم فى السواحل العمانية وماترتب على ذلك من الحاجة إلى تطوير وتحسين البحرية العمانية للوقوف فى وجه البرتغال فد أتاح الفرصة لتكثيف النشاط التجارى العمانى ؛ومضاعفة الرحلات الملاحية ، الأمر الذى أدى إلى تحقيق قدر كبير من الازدهار والرخاء القومى ، وفى ظل هذه الأوضاع فإن الإمكانيات القبلية وروح المشروعات التجارية التى كانت تستنزف البلاد من خلال الحروب والصراعات الداخلية التى فرضتها طبيعة البلاد ، تحولت إلى قنوات أخرى أكثر جدوى وفائدة لعمان ؛ كذلك فقد شهد حكم اليعاربة تحسنا فى أوضاع البلاد كنتيجة لضعف احتمالات قيام صراعات داخلية على الإمامة .

وعلى أى حال فنظرا للمضمون الدينى للإمامة ، فإن تولى الإمام ناصر للسلطة كان ولابد أن يثير الخلاف بين المطالبين بها، نظر لأن لإمامة كانت السبب الرئيسى للخلافات التى كانت تطرأ من حين إلى آخر ، وأدت فى النهاية إلى نهاية حكم اليعاربة .

وبعد تولى أحمد بن سعيد الحكم حاول أن يسير فى نفس الخط السياسى فيما يتعلق بتطوير الأسطول العمانى ، غير أن التركيز فى

عهده أنصب على الملاحة التجارية ، وفى عام ١٧٥٠ أرسل العمانيون سفنا إلى ممباسة ، وكلوا ، وزنجبار ، وعينوا ولاة وحكاما على تلك المناطق ، وكانت المحاصيل العمانية من البلح وغيره تصدر إلى القارة الإفريقية مقابل سلع كثيرة ، كالعاج ، والأخشاب كما كانت تتم مقايضة البلح بالسكر ،والبن ، والسمك المقدد مع مورشيوس ، وقد جهزت حملة ناجحة ضد قراصنة مالبار الذين كانوا يعتدون على السفن القادمة من الهند .

وفى عام ١٧٧٥ تعاون الأسطول العمانى مع الأتراك ضد الفرس.

وقد تعرض الإمام أحمد بن سعيد إلى عدد من المشكلات كان أخطرها تمرد نجليه سيف وسلطان اللذين تمكنا فى عام ١٧٨١ من الاستيلاء على مدينة بركا ، وإن كانا قد اضطرا إلى إخلائها فيما بعد .

وفى عام ١٧٨٣ توفى الإمام أحمد بن سعيد وخلفه نجله الثانى سعيد (كان أكبر أنجاله هلال ضريراً) ، وقد حاول سيف أن ينتزع الحكم لنفسه بمساعدة خارجية ، إلا أن محاولته قد فشلت ، وسافر بعدها إلى شرقى إفريقية ، حيث وافته المنية هناك ؛أما سلطان فقد تحالف مع ناصر خان حاكم بلوشستان الذى قدم إلى سلطان منطقة جوادر ، كهدية منه (وقد بقيت

جواذر خاضعة لعمان حتى عام ١٩٥٨ عندما انتقلت تبعيتها إلى حكومة الباكستان) .

وقد انتهت محاولة لانتخاب قيس النجل الثالث للإمام أحمد بن سعيد بالفشل ، أما فى مجال إدارة شئون البلاد فقد أنيط أمرها إلى سعيد ، الذى احتفظ بلقب الإمام ، واستمر فى الرستاق ، بينما ركز حمد نفسه فى مسقط ، وبرهن على كفاءة كوصى على الحكم ، وصمد نظامه فى الحرب مع القواسم كما نجح فى قمع تمرد قاده عمه سلطان ، الذى كان قد عاد من جواذر فى ذلك الوقت ، وعلى امتداد ست سنوات من ذلك التاريخ كان هناك فصل واضح فى إدارة الحكم بين القيادة الدينية والمدينة .

وفى عام ١٧٩٢ توفى حمد بعد أصابته بمرض الجدرى ، وأعقب وفاته نشاط ملحوظ لكل من قيس وسلطان ، تخللته اضطرابات سياسية ، وقد أمكن تسويتها بالاتفاق على أن يحتفظ سعيد بالسلطة الدينية فى الرستاق وقيس بحكم صحار ، وأن يسند حكم مسقط ، وبركا ، والمصنعة لسلطان ، وقد اتخذ سلطان مسقط مقرا للحكم :

فى عام ١٧٩٨ م عقدت أول اتفاقية سياسية بين عمان

وبريطانيا ، ونصت على استبعاد السفن الفرنسية وبحارتها من موانىء عمان على امتداد فترة الثورة الفرنسية ، وعلى إنشاء شركة الهند الشرقية ، ومقرها فى بندر عباس ، وكانت هذه الشركة تمارس نشاطها على أجزاء من الساحل الفارس ، وفى عام ١٨٠٤ م قتل سلطان خلال معركة بحرية ، وأنجب ولدين ، إلا أنه فى عام ١٨٠٧ استطاع عمه سعيد أن يستولى على السلطة بعد صراع عائلى انتهى بانتصاره ، وعلى أية حال فإن حكم السيد سعيد ظل عرضة للخطر فترة من الوقت ، ولكنه زال بعد أن عقد اتفاقا مع الوهابيين الذين كانوا يشنون غارات عدوانية على عمان .

وفى وقت مبكر من حكم السيد سعيد — لم يتأكد تاريخه — توفى الإمام أحمد بن سعيد ، ولكنه ظل يمارس سلطات كرئيس الدولة حتى يوم وفاته . وبما أن السلطة المدنية بقيت نحو خمسة وعشرين عاما فى يد غيره ، فإنه لم يطرأ ظرف فى حياته يستدعى خلعه أو استبداله ، وخلال حكم الإمام أحمد بن سعيد أطلق أبناؤه على أنفسهم لقب السيد ، وبهذا ظل السيد سعيد بن سلطان يحمل ذلك اللقب بعد وفاة والده ، ولقد أكدت الأحداث التى رافقت تلك الرحلة على احتفاظ حكام عمان بلقب السيد .

وما أن استطاع السيد سعيد التخلص من المشكلات التى جابهته حتى بدأ يوجه اهتماماته إلى مجالات جديدة ؛ ففى عام

١٨٢٦ فرض حصارا على بوشهر ، ثم فى عام ١٨٢٧ أرسل حملة إلى البصرة لإرغام حاكمها التركى على استئناف دفع المعونة التى كانت تدفعها البصرة للإمام أحمد بن سعيد ، نظير المساعدة التى قدمتها عمان للأتراك فى حربهم عام ١٧٧٥ ضد الفرس، وفى عام ١٨٢٨ وجه نشاطه ضد البحرين ، ثم استولى على ظفار فى عام ١٨٢٩ ، وبعد ذلك توجه إلى شرقى إفريقية ، وبقى فى زنجبار حتى آخر يوم فى حياته باستثناء زيارة قصيرة قام بها للوطن الأم خلال عام ١٨٣٢ لتسوية بعض الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة .

فى ظل حكم السيد سعيد اتسعت رقعه الممالك العمانية ، وضمت فيما ضمته زنجبار ، وأجزاء أخرى فى شرقى إفريقية والساحل الجنوبى لفارس . وقد حققت تجارة عمان فى شرقى إفريقية ازدهارا ملحوظا ، كما أنه بالنظر إلى وضعها الاستراتيجى وما حققته من استقرار فى مجال الأمن بصورة تفوق جارتها تحولت عمان إلى سوق دولية ، ومنطقة تجارية حرة ، تقصدها السفن لنقل السلع والمنتجات منها إلى مناطق الخليج الأخرى ، غير أنه داخل ذلك الازدهار كانت تعشش بوادر التدهور ، فقد تضافرت عوامل كثيرة ، كالخلافات العائلية والتدخلات الخارجية مما وضع على كاهل السيد سعيد أعباء مالية كبيرة فقد

دفعت تلك الأوضاع السيد سعيد إلى كسب صداقة بريطانيا بعد أن أصبحت سيدة الموقف فى المحيط الهندى ، وتمثلت تلك الخطوة فى توقيع اتفاق عام ١٨٢٢ لحظر تجارة الرقيق ، بالرغم مما كانت تدره تلك التجارة من موارد مالية هامة للسيد سعيد نفسه .

وبعد وفاة السيد سعيد قسمت الإمبراطورية العمانية بين نجليه السيد ماجد ، والسيد ثوينى .

وكانت فترة نصف القرن الأخيرة من ذلك التاريخ ، فترة مشاكل سياسية للسلطنة ، نظراً لتآكل الأسس القديمة التى كان يقوم عليها اقتصاد عمان ، كما ساهم انفصال الممتلكات العمانية فى شرق إفريقية فى تلك الأزمة الاقتصادية ، نظراً لما تشكله تلك الممتلكات من الموارد المالية للسلطنة ، وقد تحتم على السيد سعيد فى نفس الوقت أن يسترضى القبائل الداخلية التى كانت تقوم بإثارة الاضطرابات بين الحين والآخر ، كما أضيف عامل آخر إلى العوامل التى ساهمت فى الأزمة الاقتصادية ، ألا وهو افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، مما أدى إلى إضعاف الوجود الملاحى لعمان كنتيجة للتطور الذى طرأ على المواصلات البخارية ، إلى جانب عوامل أخرى ، كتوسع الغرب ، وبسط الحماية البريطانية على المنطقة ، وما استتبع ذلك من إجراءات لتأمين الملاحة والتجارة .

ونتيجة لتلك الأحداث فقد تعرضت عمان لموجة من الاضطرابات السياسية ، ففى عام ١٩١٣ توفى السلطان فيصل ابن تركى ، الذى خلف والده على الحكم فى عام ١٨٨٨ ، غير أن السلطان تمكن بمساعدة الحكومة البريطانية من السيطرة على الموقف ، وفى أعقاب الحرب العظمى عقد اتفاق مع السلطان وبعض زعماء المنطقة الداخلية ، غير أن الأوضاع السياسية لم تستتب طويلا إلا بعد توقيع معاهدة السيب فى ٢٥ سبتمبر عام ١٩٢٠ ، وبذلك استقرت الأحوال منذ ذلك الوقت فى عمان ، واحتفظت حكومة مسقط بمقاليد السيادة على سائر أرجاء عمان .

وفى عام ١٩٣٢ تولى الحكم السيد سعيد بن تيمور بعد أن تنازل له والده تيمور بن فيصل بذلك ، ولم تشهد البلاد موجات جديدة من المشكلات ، ونعمت بالاستقرار السياسى والأمن الشامل.

وفى عام ١٩٦٧ خرجت أولى شحنات البترول من عمان ، وبذلك دخلت البلاد مرحلة جديدة فى تاريخها ، بتولى السلطان قابوس بن سعيد زمام الحكم فى البلاد ، وقد بدأ فى وضع الخطط الشاملة والعصرية لتطوير البلاد وتحديث مرافقها على جميع المستويات ، وهكذا بدأ شعبها يجنى ثمرات العهد الجديد متطلعا إلى مرحلة سعيدة ومزدهرة .

سلطنة عمان
وزارة التراث القومى
المكتبة
الرقم العام : ١٠٧
الرقم الخاص :

القسم الثانى

تراجم علماء عمان

من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الميلادى

تأليف : اف . سى . ولكنسون

ترمى هذه الرسالة إلى إزاله الغموض عن المعلومات الخاصة بما تعرضت له الإمامة الإباضية الكبرى فى عمان فى فترة من التاريخ، وذلك على أثر خلع الإمام الصلت بن مالك الخروصى عن السلطة فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى .

غير أن ماتخلل تلك الرحلة من نقاش وجدل بصدد القضايا الدستورية للإمامة قد ساهم، أو بالأحرى ، عجل بتعميق الخلافات السياسية فى عمان فترة امتدت أربعة قرون ، الأمر الذى شكل مضاعفات حادة حول هذه القضية .

ولما كانت كتابات جماعة العلماء لما يسمى بمدرستى الرستاق ونزوى هى المصدر الوحيد الذى يمدنا بالمعلومات والأفكار عما ثار من نقاش حول هذا الموضوع ، فإن ذلك يقتضى دراسة تقيمية عن تلك الحقبة من تاريخ عمان ، والتى ربما اكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد المتعمدين .

وعلى حين أن هذا التقييم هو الغاية من هذه الرسالة فإنه لابد من التأكيد أولا على إعادة فرز تلك المعلومات ، على أننا لانقصد من ذلك وضع جدول شامل للسير والمراجع من تلك الفترة . وإذا تأتى لهذه الرسالة أن تشكل نقطة انطلاق لأية أبحاث قادمة حول المشكلة فإنها تكون قد حققت أهدافها ، وإن الكاتب

ليأمل أن يراعى المهتمون بهذه القضية ما قد يكون فيها من نقص أو أخطاء .

الخلفية التاريخية :

تعتبر الحرب الأهلية التى مزقت عمان فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى منعطفا هاما فى تاريخ الحركة الإباضية

فعلى امتداد قرن من الزمان تقريباً تزعم قطاع من أئمة الأزد الذين ينتمى معظمهم إلى الفرع اليحمدى من أزد شنوءة نظاما موحدا تقريباً للإمامة ، تمتد حدوده من البحرين حتى اليمن ، ولقد كان لهؤلاء الأئمة قوة بحرية كانت تزايد بصفة مستمرة ، وذلك لنقل السلع التجارية فيما بين المحيط الهندى ومناطق الخلافة ، غير أن هذا الازدهار الظاهر كان يقوم على أسس واهية ، نظراً لأن نظام الدولة العمانية كان ينطلق من أسس قبلية وليس من أسس دولية أو ملاحية .

وهكذا فبمقدار ما كان التركيب الدولى لعمان ينمو ، كان التناقض بين المنطقة الداخلية والمنطقة الساحلية يزداد حدة ، فى الوقت الذى كانت البلاد تنقسم فيه إلى معسكرين سياسيين مع ما كان يصاحب ذلك من توزيع غير عادل للسلطة وللثروة بين زعماء القبائل العمانية .

وفى أعقاب التوتر السياسى الذى ساد عمان أثناء حكم المهنا ابن جيفر الفجحى اليحمدى (٢٢٦هـ / ٨٤١م — ٢٣٧/٨٥١) كانت إمامة الصلت الخروصى اليحمدى تبدو وكأنها تمضى قدما بفضل التأييد الذى كانت تحظى به من رجال الدين ، غير أن ذلك الوضع كان ناتجا عن سياسة التصالح فيما بين القوى المتصارعة ، وبالتالى عندما تقدمت به السن ضعفت قبضته على مؤيديه وأتباعه ، مما أفسح الطريق للتجمع الحزبى القديم لكى يستعيد نشاطه ، ولكى يفتح الأبواب لصراع مرير على السلطة بين المؤيدين مباشرة ، ونعنى بهم رجال الحلف اليحمدى الرئيسى ، الذين يستوطنون السهول الشرقية للجبل الأخضر ، والذين من خلال سيطرتهم على بهلا كانوا يسيطرون على الجوف الشمالى والشق الساحلى للباطنة ، من خلال تحالفاتهم القبلية مع هذه المنطقة من ناحية ، وقبائل الشمال التى كانت تمد سيطرتها حتى الجانب الغربى من سلسلة الجبال اتجاها إلى المنطقة السفلى من الجوف (وعاصمتهم نزوى) والذين كانوا فى الوقت نفسه قد استبعدوا من مراكز السلطة السياسية والملاحة التجارية ، من ناحية أخرى .

وفى نهاية المطاف ، وفى عام ٢٧٢هـ / ٨٨٦ م قامت مجموعة من رجال الدين بزعامة موسى بن موسى ، من أسرة بنى سامح ، والتى ظلت لفترة تقرب من مائة عام تشكل العمود الفقرى

لعملية انتخاب الأئمة بخلع الإمام الصلت وتنصيب راشد بن نزار وهو أحد اليحمديين ، من فرع فجج القبلى ، الأقل أهمية ، وكانوا من المؤيدين لهذا الإمام .

وقد جاء رد الفعل سريعا على هذا الحادث ، فقد قامت قوة قبلية تشكلت من اليحمديين وحلفائهم بالزحف على الجبل الأخضر فى محاولة للإطاحة بالإمام الجديد ، غير أنها هزمت شر هزيمة فى المعركة المعروفة بموقعة الروضة ، القريبة من تنوف . ولقد كتب الفصل الأخير فى تلك الأحداث ، التى أخذت تتفاقم ، بهزيمة التحالف الشمالى بقيادة زعيمه الحدانى أمام مجموعة اليحمديين الشماليين فى معركة العق ، بالقرب من صحار ، وذلك فى عام ٢٧٨ /٨٩٢ مما حمل البقية الباقية من زعماء بنى سما إلى طلب المساعدة من الخلفاء .

وسرعان ما استجاب العباسيون للطلب من منطلق رغبتهم فى استئصال الخوارج والسيطرة على تجارة عمان البحرية ، فبعثوا بقوة إلى عمان ، تم تشكيلها من أعداء الأزد بقيادة محمد بن نور الذى اقترنت حملته بأبشع المجازر فى تاريخ عمان .

وهكذا فى عام ٢٨٠/٨٩٣ انتهت الإمامة الأولى بوفاة الإمام عزان بن تميم الخروصى فى معركة صمد ، فى المنطقة الشرقية .

وفى أعقاب ذلك انتقلت البلاد لمرحلة من الإرهاب اقترنت

بتدمير وسائل الرى فى عمان ، الذى كان يعتمد عليها اقتصاد البلاد فسادت بعد ذلك مرحلة من الفوضى ، عمت المناطق الوسطى من عمان ، غير أنه فى الوقت الذى أرغم الدخيل على التخلى عن سيطرته عن البلاد فأنها ظلت تعانى من التقسيم والتمزق مما جعل المراكز الساحلية تبقى تحت سيطرة الأجانب لفترة تزيد على قرن ونصف.

وكنتيجة لتلك الأحداث المروعة التى أدت إلى تصدع الدولة العمانية بسبب الانغلاق والتعصب القبلى ، بدأت تبرز إلى الوجود صور جديدة من المواقف والتحالف فى داخل البلاد . فلقد أعاد رجال الدين العمانيون النظر فى مفهومهم حول خلع الإمام الصلت وأخذوا يلتفون حول الخروصيين ، وغيرهم من مجموعة اليحمديين الذين تحولوا إلى دعاة « للدولة الإباضية » « والقومية العمانية » حتى نجحوا أخيرا فى توحيد قوى الشعب تحت زعامة حفيد الإمام المخلوع الخليل بن شاذان الخروصى (الذى تولى الإمامة من سنة ١٠١٦ حتى سنة ١٠٢٩ م وفى منتصف القرن تقريباً تمكن خليفة الإمام راشد بن سعيد اليحمدى من طرد البويهيين الذين كانوا يؤيدون الخلافة فى بغداد ، وهكذا أطلت على عمان مرحلة جديدة من الرخاء والازدهار .

ورغم كل ذلك فإن الإمامة فى عمان لم يكن ليكتب لها

أن تستعيد عصرها الذهبي الأول ، نظراً لما أعلنه أحد دعاة مدرسة الرستاق عام ٤٤٢ / ١٠٥٢ من أن أتباع موسى بن موسى لم يكونوا أكثر من مارقين ، مما قضى على كل أمل في قيام وحدة جديدة . وهكذا فإن الجماعة الحاكمة يومئذ قامت باستبعاد العناصر المعتدلة من رجال الدين من أنصار مدرسة نزوى الذين حاولوا خلال القرن العاشر أن يتشبثوا بقضية الماضي وأن يقطعوا صلتهم باليحمديين الذين كانوا يسيطرون على الإمامة ، وذلك عن طريق تسريب الأئمة المحايدين ، بينما كانوا في نفس الوقت يعملون على إثارة النعرة العصبية القبلية والإقليمية القديمة .

وهكذا انقسمت الإمامة ، وكان قد سبقها انشقاق الحضارم ، ثم أعقب ذلك محاولات من جانب علماء الرستاق سكان الجوف للتعبير عن معارضتهم لفكرة الإمامة الوراثية ، إلى أن تمكنوا في النهاية من انتخاب أئمتهم . وهكذا أخذ النفوذ القبلي لليحمديين يتضاءل تدريجيا بحيث لم تحل نهاية القرن السادس / الثاني عشر حتى تم التخلي نهائيا عن نظام الإمامة ، بعد أن انتقلت السلطة إلى النبهانيين الذين ينتمون إلى عتيق .

وقد استمرت تلك الأوضاع حتى أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ، عندما تعرضت الإمامة للتهديد

الخارجى — كذلك بدأ سكان العمق الجغرافى للجبل الأخضر يبحثون عن صيغة جديدة للوحدة الوطنية ، وذلك فى إطار مؤسسات الإمامة نفسها ، وبذلك انتهى الخلاف بين أصحاب مدرستى الرستاق ونزوى ، ورغم ذلك فإن الإباضية لم تبدأ فى محاولتها تلك فى البحث عن جماعة جديدة من رجال الدين والعلماء لا يخضع تفكيرهم للقضايا الدستورية التى كانت السبب فى نهاية الإمامة الأولى قبل مرور ألف عام على ذلك التاريخ ، إلا عندما بدأت الإمامة اليعربية فى الانهيار خلال القرن الثامن عشر .

المصادر الخارجية والداخلية

المصادر الخارجية :

إن وضع بحث شامل لخلفيات المشكلات الدستورية حول الخلاف بين نزوى والرستاق تقتضى الرجوع إلى عدد من المصادر العمانية والأجنبية ، وبدونها يستحيل علينا رسم الإطار التاريخى العام لتلك المشكلات . إن التاريخ العمانى فى حد ذاته محدود الإطار ، إلى حد لايصدق ، لأنه يعتمد على مجموعة من العلماء الإباضيين فحسب ، وهؤلاء العلماء هم الذين حافظوا على ذلك التاريخ ، وهم يرون أن تسجيل الأحداث التاريخية ، حسب مفهومهم ، ينبغى أن يخضع للشريعة وللفقه الإسلامى ، أى تسجيل تاريخ وجود الجماعة الإسلامية نفسها فى جنوب شرق الجزيرة العربية ، وأما فيما يتعلق بالنشاط القبلى فيمكن والحالة هذه أن يكتب بكثير من التفصيل ، لأن هذا التاريخ مرتبط بشكل مباشر بتلك الجماعة ، أما ما يحدث خارج عمان حتى ولو كانت له علاقة بما يجرى داخلها فإنه لم يكن يهم المؤرخين العمانيين فى شىء ، لأنهم يعتقدون أن ذلك من صنع (الجبابرة) أى السلطة غير الشرعية . كذلك فإن المنطقة التى يتناولها هؤلاء الكتاب تتغير من جماعة إلى أخرى ، لأن عمان فى نظرهم

أو بالأحرى فى نظر العالم الإباضى (والذى يمثل كل الأراضى التى تشغلها الإمامة) ذات حدود مشتركة . وبالتالى وعلى سبيل المثال ، فإن أى حدث يقع على المنطقة الساحلية من عمان لا يجد من يتصدى له من أولئك العلماء ، ناهيك عـلى الأوضاع الأكثر بعداً فى أرجاء الإمبراطورية العمانية ، ولا يستطيع أى مؤرخ يعيش فى شرقى إفريقية أن يستشف أى صلة مباشرة لمنطقته من تلك المصادر التاريخية ، وبالعكس فإن تلك المصادر هى فى حد ذاتها لا تبدو أنها تأثرت بالاتصالات الخارجية، كما لم تتم أى محاولة لسد تلك الثغرة فى أهم حقبة من التاريخ العمانى ، إلا عندما كتب السالمى مؤلفه (تحفة الأعيان) الذى اعتمد فى تأليفه على مصدر رئيسى واحد هو (الكامل) فى التاريخ لابن الأثير (أما الطبرى فبالطبع لم يكن من الممكن أن يتعرف عليه السالمى ، لأنه كان فى ذلك الوقت لا يزال طالبا) .

وبالتالى فإنه يكاد يكون مستحيلا كتابة تاريخ عمان دون الرجوع إلى المصادر الأجنبية العديدة ، وإلى الأدلة التى كشفت عنها الحفريات والعملات القديمة المستخرجة ، مما يضفى المزيد من الأهمية على هذا الموضوع . وعلى أية حال فمن واقع الآراء المحدودة عن تلك الأرمة الدستورية للامامة ، والتى هى موضوع هذه الرسالة ، فإن هذه المصادر لا تجود بالكثير من الأدلة .

صحيح أننا قد نعثر من بينها على بعض الأدلة، لكنها تتعارض مع المراجع العمانية المحلية. ولهذه الأسباب فإن الاستشهاد بالمعلومات التى وردت فى مؤلفات ابن الأثير، وابن مسكويه، وابن خلدون، عن هذا التاريخ ينبغى أن تؤخذ بكثير من الحيطة والحذر، وإن كانت تلقى بعض الضوء لفهم ما كان يجرى خارج المجتمع الإباضى. أما فى هذه الرسالة فإنى لن أتعرض لتقييم المصادر غير العمانية:

مراجع داخلية ثانوية:

قد يبدو عملا سطحيا أن نحاول تقسيم مصادر التاريخ العمانى عن فترة القرن الرابع عشر إلى مصادر أولية ومصادر ثانوية، نظراً لأن المناقشات الدستورية التى سادت تلك الفترة، كلها تنحصر فى جانب واحد. ولم يبق فى عمان من المؤرخين المعاصرين له غير مجموعة واحدة وعلى أية حال فإن ضربا من التقسيم لهذه المصادر يبدو أمرا مناسبا.

ولما كانت هذه الرسالة تعتمد على الترتيب الزمنى لأحداث تلك الفترة فإننا نجد أنفسنا ملزمين بأن نتقيد بأمر واحد، ألا وهو ما إذا كان المؤرخ قد عاصر أو عاش فى تلك المرحلة الزمنية أم لا. وبالتداعى فإن الجانب الرئيسى من المصادر الأولية للتاريخ العمانى

لابد وأن يشمل أولئك المؤرخين الذين لم يتناولوا الأحداث المعاصرة لهم ، وأن المسوغ الوحيد لإدراجهم ضمن هذه الفئات هو مساهمتهم فى أكثر المسائل السياسية إلحاحا :

ولما كان التركيز على المؤرخين العمانيين الأوائل هو هدف هذا البحث ، فإننا لن نستفيض فى الحديث عن المصادر الثانوية رغم أنها تضم معظم الوثائق الأولية ، أو التى يمكن الوصول إليها عن طريقها ، وعليه فإن مناقشتنا هذه سوف تقتصر على المصادر « التاريخية » الثانوية فحسب ، وأننا لن نتطرق بالتالى إلى المجموعة الكبيرة فى أحدث مؤلفات الفقه الإباضى رغم ماتتضمنه من آراء ومعلومات قد تفيد فى فهم تطور النظريات الدستورية الأولى .

تحفة الأعيان :

يعد كتاب « تحفة الأعيان » للشيخ محمد بن عبد الله بن حميد السالمى من المراجع الأساسية . وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب قد فقد بصره وهو فى سن الثانية عشر من عمره ولم يكن قد تجاوز الأربعين عاما عند وفاته سنة ١٩١٤ ، إلا أنه يعتبر من أهم الشخصيات العمانية . وقد ألف السالمى أكثر من اثنين وعشرين

كتاباً ، بعضها لايقل فى الأهمية بالنسبة للفقه الإباضى عن تحفة الأعيان بالنسبة للتاريخ .

كما كان لهذا العالم نشاط سياسى ملحوظ . وقد ورث من أستاذيه اللذين تتلمذ على يديهما ، وهما ماجد بن خميس العبرى (١٨٣٧ — ١٩٤٧) وصالح بن على الحارثى تلك التقاليد النضالية للعلماء الإباضيين العظام ، ممن عاصروا القرن التاسع عشر . كما لعب السالمى دوراً فى إعادة الإمامة سنة ١٩١٣ .

ولابد من وضع هذه الخلفية المتميزة فى الاعتبار عند دراسة أو تقييم أفكاره وأعماله ، والتى كانت فى معظمها ترمى إلى غاية واحدة : ألا وهى بعث وتعميق الروح القديمة للشريعة الإسلامية بين العمانيين :

وعلى أية حال فعلى الرغم من تقيد السالمى بمذهبيته ، فقد كان أدق عالم فى نظر كاتب هذه الرسالة ، ومن خلال تتبع للكاتب وتمحيصه لما ورد فى تحفة الأعيان ، اقتنع بالتزام السالمى بالنصوص الأصلية للمراجع التاريخية لعمان . ثم بالنظر إلى أن السالمى قد جاب الأرض العمانية من أقصاها إلى أقصاها بحثاً عن كل شذرة من شذرات المعلومات التاريخية ، ليضمنها مؤلفاته فإن ذلك يعد شهادة على صحة معلوماته ، خصوصا وأن المصادر

الأخرى لاتضم على مايبدو أيةمعلومات إضافيةمباشرة عن المراحل المبكرة للتاريخ العمانى (على الأقل ليس قبل الفترة الأخيرة من المرحلة النبهانية) .

ومن ناحية أخرى فإنه نظراً إلى أن السالمى لم يحاول التنسيق أو تحليل الموضوعات التى تناولها ، ونظراً لأن كتاباته فى الأساس ذات طبيعة محدودة ، فإن الاستفادة من أسلوبه فى تناوله للأحداث متعذرة دون القيام بجهد كبير للبحث والاستقصاء لجوانب الخلفيات القبلية والمذهبية فى عمان . كذلك فإن معلومات السالمى عن المشاكل الدستورية التى كانت تشطر أهل نزوى والرستاق قليلة جداً هى الأخرى .

(ب) السير :

يعتبر مايمكن أن نسمية بالسير أحد المصادر الثانويةللمعلومات التاريخية عن الفترة التى يتناولها هذا البحث .

وهذه السير أشبه بالدراسات التاريخية المتشابهة . حيث يضيف كل مؤرخ من المؤرخين جزءاً خاصا بالموضوع الذى يتناوله ، ومن أمثله ذلك كتاب «تاريخ المعولى»، وبعض كتب التاريخ المجهولة الهوية التى يضمها المتحف البريطانى . « والفصل التاريخى » الوارد فى كتاب كشف الغمة بعنوان « الجامع لأخبار

العلماء » المنسوب إلى سرحان بن سعيد من قبيلة أميو على ، فى أزكى . وهذا المرجع بالذات يبدو للوهلة الأولى وكأنه بداية لتلك السلسلة من المؤلفات التى تؤرخ للحرب الأهلية اليعربية فى بداية القرن الثامن عشر .

غير أن كاتب هذه الرسالة يرى أن سرحان بن سعيد لم يكن أكثر من ناقل لآراء غيره من الكتاب (وهو يعتبر فى نظر مجموعة علماء عمان من المؤرخين أو الكتاب البارزين) ولكن مساهمته لاتزيد على إضافة بعض المعلومات إلى أعمال سابقة ، ربما انتقاها المؤلف من كتاب سابق بعنوان « كشف الغمة فى اختلاف الأئمة » وهو كتاب سبق أن أشاد به البرادى ، أحد العلماء الإباضيين المغاربة فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر لميلادى ، ومن المحتمل أن تكون بعض فصول هذا الكتاب قد أعيد نشرها بالفعل خلال القرن السادس عشر .

ومن الملاحظ أن المؤرخين العمانيين حين يستشهدون بكشف الغمة ويذكرون الكتاب باسمه الكامل ، فإنهم يشيرون إلى اسم هذا المؤرخ ، ولكنهم عندما يتحدثون عن المؤلف نفسه فإنهم يذكرون الاسم الأصلى المجهول ولا ينسبونه إلى سرحان .

وبصرف النظر عن تطور هذا التاريخ ، فإنه من المؤكد

أن السالمى كان على معرفة تامة به ، والشىء الوحيد الذى كان ينقص السالمى هو بعض المعلومات التى خلا كتابه منها ، وإن كانت معلومات لايعتد بها كثيرا :

وأما فيما يتعلق بالفترة الزمنية التى تعالجها هذه الرسالة ، فيمكن القول بأن كتابه لايلقى ضوءاً كثيرا بوجه عام ،ويشوب معلوماته شىء من التعقيد ، كما أنه فى معالجته لم يفرد حيّزا هاما من الكتاب للأحداث الفعلية التى أدت إلى نشوب الحرب الأهلية

ونفس هذا الرأى ينطبق على ابن رزيق الذى يعتمد اعتمادا كبيرا على هذا النوع من التصنيف للمعلومات إلى جانب أخذهمن بعض المصادر الأخرى .

مشاكل تحديد المصادر الأولية :

يوجه الباحث بعض الصعوبات المبدئية عند تقييم المعلومات الواردة من المصادر الثانوية وفى توسيع المعلومات المستقاة من المراجع السابقة الذكر ، وهذه الصعوبات تتمثل فى :

أولا : الأسلوب الذى ينتهجه العلماء فى الاستشهاد بالمراجع وذلك ينطبق على مايبدو على النقاط التالية :

(ا) أنهم عادة يستشهدون بتلك المصادر عندما تكون هناك مواقف معينة مقترنة بالحدث :

(ب) أنهم يستشهدون كثيرا بمصدر معين إذا كان الاستشهاد به يسهم فى إعطاء معلومات ذات أهمية خاصة .

(جـ) فى حالة جهل المؤلفين بالمصدر أو إذا كان ذلك المصدر غير موثوق به .

(د) إذا كانت المعلومة المستشهد بها مقبولة بوجه عام ، فإن المؤلف لايشير إلى مصدرها مما يفسح المجال لمعلومات تفتقر إلى التعزيز أو يتعذر تحديدها .

ثانيا : مشكلة تحديد أسماء المصادر ، ويمكن للمؤلف أن يحل هذه المشكلة فى إطار التزامه بالخط الإباضى .

ثالثا : مشكلة تحديد المراجع وما هو موجود منها وغير موجود ، والفترة التاريخية التى تنتمى إليها . وما إذا كان المراجع من المصادر الأصلية أو أنه ورد ضمن مؤلفات أخرى .

ولعل هذه المشكلة التى تتعلق بتوفر المرجع أو عدم توفره هى من أكثر المشاكل تعقيدا . ونشير على سبيل المثال إلى أعمال ومؤلفات ابن نزار ، وما إذا كان فى الإمكان التأكيد مما إذا كانت نصوص كتاب المصنف قد نسخت قبل الحريق الذى شب فى الرستاق فى أوائل القرن الثامن عشر وأتى على أكثر من ٩٠٧٣

مخطوطا ، وقد تكون بعض هذه المخطوطات موجوداً شمال إفريقية . ولحسن الحظ فإن مؤلف هذه الرسالة يملك نسخة من هذا الكتاب تاريخها ١٨٣٩ ، وهى الباب الخاص بالطهارة ، وهو ضمن كتابين آخرين حول نفس الموضوع ، ومن تأليف نبهان بن جاعد بن خميس الخروصى . أما الذى بقى من أبواب ذلك الكتاب فغير معروف ، كما أن ثمة صعوبات تحف بعملية البحث عن هذه المخطوطات . وعلى أية حال فإن بقاء مؤلف من المؤلفات التى تبحث فى المذهب الإباضى لايعنى بأيه حال أن البحث والنقاش قد تناول ذلك الكتاب ، كذلك فإن ضياع بعض المؤلفات أثناء الفترة التى اختفت فيها الإمامة فى عمان لايعنى فى معظم الأحوال أن تلك المؤلفات قد نوقشت من جانب أى مؤرخ من المؤرخين العمانيين القاديين ، حتى لو افترضنا وجود تلك المؤلفات فى وقت من الأوقات .

رابعاً : مشكلة إثبات سيرة المؤلف وتقييم سلبياته وإيجابياته وسوف نعالج فيما يلى وبشىء من الإيجاز بعض الصعوبات التى تواجه الباحث فى إثبات بعض المراجع ذات الطابع السيرى .

عمان :

(أ) اللمع بالإضافة إلى الجانب السياسى للتحفة ، يعتبر كتاب « اللمع » للشيخ حميد السالمى رسالة عامة موجهة إلى الإباضيين

فى المغرب العربى ، وقد صدرت عام ١٩٠٥ م . وللرسالة أهميتها وتتركز فيما تضمنه من معلومات عن مؤلفات كتبها بعض العلماء الأجلاء الأوائل . وبالرغم من أن المعلومات الواردة فى الكتاب عن المؤلفين العمانيين قليلة ولا تتضمن تواريخ عنهم إلا أن الكتاب يشكل عملا هاماً فى إثبات مصادر للتراجم والسير الذاتية العمانية .

(ب) قائمة بأسماء العلماء : تضم المخطوطة المشابهة لبيلوغرافيا اللمح ، قائمة بأسماء العلماء المؤلفين وأهم جزء فيها ذلك الذى ورد فى الفصل ٨٨ (طبعة زنجبار ص ٢٩٦ — ٣٠٩) من قاموس الشريعة وفى الفصل ٣٩ من كشف الغمة .

الأولى تؤكد بأن الجانب الأكبر من المعلومات الخاصة بالسير الواردة فى تلك البيلوغرافيات مقتبسة من المجلد (أ) من منهج الطالبين (وقد ورد معظمها فى الفقرة ٢٦ من ميزاب — شاخت تأليف خميس بن على الشقصى من أهالى الرستاق ، وكان على رأس المؤيدين لانتخاب الإمام اليعربى الأول ناصر بن مرشد (١٦٢٤ م) .

من العقبات التى تعترض سبيل الباحث فى ببلوغرافيا علماء عمان هى عدم وضوح الترتيب الزمنى مما ترك لدى الباحث انطباعاً

على أن المؤلف قد عاش مرحلة أزمة القرن التاسع عشر ، بينما هو فى الواقع يؤرخ لفترة تالية . فقائمة السالمى على سبيل المثال تشرح مواقف العديد من العلماء حول خلع الإمام الصلت (التحفة فصل ١ ص ١٩٧) بحيث تغطى كما يبدو فترة تمتد ٢٥٠ ماما .

والشئ الثانى هو أن مواقف المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة ، ليست بالضرورة هى نفس المواقف التى كانوا متمسكين بها خلال الفترة نفسها ، لأنه دخلت عليها تعديلات كثيرة فى الفترة التى أعقبت الغزو العباسى لعمان .

وهناك قائمتان من هذه القوائم قد تساعدنا على إماطة اللثام عن هذه النقطة ، الأولى تتصل بحملة العلم أو المنظرين الإباضيين الأوائل ، وهذا المرجع لا تتعدى مرحلته الزمنية منتصف القرن الحادى عشر ، وهى مرحلة تعتبر متأخرة إلى حد كبير بالنسبة لتحديد الشخصيات الرئيسية لمرحلة الأزمة . ومن هذه القوائم قائمة تقسم علماء الفترة إلى ١٢ مجموعة معاصرة ، ويمكن الإطلاع عليها فى نهاية الفصل التاسع عشر من كشف الغمة ، (ويمكن مضاهاة هذه المجموعة بمجموعة أخرى من إثنى عشر عالماً ، من إباضى شمال إفريقية حسب ما ذكره الدرجينى) وعلى أية حال فإن تعبير « حملة العلم » فى حد ذاته تعبير يبدو أنه يسبق تلك المرحلة بزمن طويل ، ويمكن أن نؤكد بأن أول من استعمل

هذا التعبير هو العوتبي . كما أن هناك وجهة نظر سعيد الكدمي فيما يختص بمسألة خلع الإمام الصلت — كشف الغمة فصل ٣٤ ، ورأى ابن رزيق كما جاء في (الصحيفة القحطانية) ص ٢٥٥ — ٢٦١ . وهذا يوضح لنا تقريباً من هم العلماء الفعليون الذين عاصروا تلك المرحلة :

السير : بالإضافة إلى بيلوغرافيا العلماء هذه وغيرها من السير كما وردت في كشف الغمة ، وفي المجلد الثامن والتاسع من « قاموس الشريعة » توجد سير ذاتية أخرى ، غير أن ثمة عاصر بارزة من المؤرخين العمانيين المعاصرين وعلى رأسهم السيابي ، وعبد الله بن حميد السالمي ابن محمد الذي بدأ من حيث انتهى والده سنة ١٩١٠ :

إن أهم مجموعة في كتب السيرة هي مجموعة كتب الأنساب (لحميد بن محمد) ابن رزيق التي يعود تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر . وهي عبارة عن خليط من الموضوعات يعتمد بعضها على الروايات ، وبعضها على المراجع الأساسية كابن خلكان ، كما تعتمد أيضاً على مصادر لم يعد لها وجود الآن . ومن العسير تعريف هذه المراجع ، ففي كتاب « الأمثل » يؤكد ابن رزيق بأن مؤلف كتاب « العين » هو الخليل ابن احمد الفراهيدي اليحمدي ،

إلا أن ابن رزيق لم يكتب رأيه فى الكتاب أو يعلق عليه ، وعلى أية حال فإن هذا الكتاب له أهميته بالنسبة للباحث ، كما أن المجلد الخامس من « الصحيفة القحطانية » له أهميته الخاصة فى هذا المجال .

مصادر شمالى افريقية .

يتضمن بعض مصادر المؤلفات الإباضية فى شمال افريقية معلومات عن كتب المراجع تتناول عمان . وبالتالى فلا غنى لأى دارس أو باحث ، أو خيار فى هذا الموضوع من الرجوع إلى تلك المراجع . وبما أن هذه المراجع أصبحت معروفة من خلال المؤلفين الإوربيين ، فإنها لا تستوجب أى محاولة من جانبنا لتفصيلها . غير أن عيب تلك المراجع هو أنها لا تتناول الشئون العمانية بعد الأمامة الأولى إلا نادراً . ومع ذلك فإن العلماء الإباضيين من الجانبين كانوا على اتصال ببعضهم البعض بطريقة وأخرى ، سواء من خلال لقاءاتهم فى مواسم الحج أو عن طريق تبادل الرسائل بصورة مباشرة .

ويمكننا أن نضرب مثلا على ذلك عملية بعث الإمامة فى عمان بزعامة ناصر بن مرشد اليعربى فى سنة ١٦٢٤ ، ثم تحت قيادة عزان بن قيس سنة ١٨٦٨ ، حيث تم فى الفترة نفسها عمليات

تبادل هام للمؤلفات والكتب بين البلدين . ومن هذا المنطلق أصدر الدرجيني فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى كتابه الخاص بالعمانيين ، كما شهدت الفترة نفسها انتقال أعمال العمانيين إلى المكتبات المغربية . ولقد قام البرادى فى القرن الثامن / الرابع عشر بفهرسته بعض تلك المؤلفات ، بينما تولت دار شاخت للطبع نشر قائمة مفصلة لتلك المؤلفات .

من الواضح أن اليقظة الحديثة للحركة الإباضية قد أثرت بشكل واسع على التبادل الفكرى بين القطرين ، فقد تناول السالمى المغاربة فى بعض مؤلفاته ، بينما قام العالم المغربى اسحاق طفيش وهو ابن أخت أحد علماء ميزاب البارزين فى المغرب ، ويدعى محمد بن يوسف طفيش (١٢٣٦ – ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) بتحقيق عدد من المؤلفات العمانية ، كذلك كتب الشيخ سليمان الباروني (الذى عاش بعض الوقت فى عمان بعد نفيه من طرابلس الغرب سنة ١٩٢١) بعض الدراسات تناول فيها إباضى المشرق العربى بما فيها واحد من أهم الدراسات فى القرن الحادى عشر عن إسحق إبراهيم ابن قيس الحضرمى ، وهو الكتاب الذى صدر فى الكويت ، كذلك فإن زنجبار قد ساهمت هى الأخرى فى تلك النهضة حيث صدر فيها عدد من المؤلفات الإباضية الهامة ، وعلى الأخص فى عهد السيد برغش بن سعيد ، ومن المؤسف أن العثور على هذه المؤلفات غير ممكن .

المصادر الأوربية :

فيما عدا المؤلفات التى قام بترجمتها كل من ساشو ، وكلين وروس وتحقيق كتاب « كشف الغمة » ومقتطفات فانى عن القلهاتى (نشرة كلية الفنون بالقاهرة ، عام ١٩٥٢) ومقتطفات ساشو من مؤلفات الحسن البيسوى ، وترجمة بادجر الشهيرة لكتاب ابن رزيق ، بالإضافة إلى بعض المفكرين الذين أشاروا فى مؤلفاتهم إلى المصادر العمانية التى رجعوا إليها ، فإن الكتاب الأوربيين حتى وقت قريب قد تجاهلوا التراث العمانى إلى حد كبير ، بحيث كانت الدراسات عن ذلك التراث محدودة ، وتعتمد على المراجع التى توفرت بسهولة لأولئك المؤلفين .

وهناك بالطبع سلسلة المراجع الواردة فى فهارس الكتب (خصوصا فى بعض المعلومات المفيدة ضمن قوائم المتحف البريطانى ومنشورات بروكلمان وشاخت ، وكذلك فى بعض مولفات الأوربيين أمثال جولين) .

غير أن تلك المؤلفات تنقصها الدقة فى معظم الأحوال ، كما أنها فقيرة فى مادتها ولم يقم أحد بتقييمها من حيث أهميتها ، ولئن كانت فهارس سوجورسكى تشكل بداية طيبة فى هذا الاتجاه ، إلا أن هذا الكتاب لم يطبع منه إلا مقدمته ، غير أن ليويكى هو

الذى تولى توسيع الدراسات الإباضية ، وإن الجانب الأكبر من مقالاته تعتمد على المصادر المغربية ، وإن كان فى بعض الأحيان قد استعان بالمصادر العمانية ، التى تمكن هو وسلفه من جمعها فى مدينة ميزاب المغربية عام ١٩١٣ / ١٩٣٣ .

وكان أهم تلك المؤلفات كتاب السير العمانية ، ومنها كتاب « صفات نسب العلماء » أو « نسب العلماء » لمؤلفه محمد بن عبد الله ابن مصعد ، أما أغلبية الدراسات الأوربية عن عمان فتعتمد بشكل كلى على المصادر المغربية ، ولا تركز كثيرا على عمان .

وإن أطروحة باثر هرست التاريخية كانت أول رسالة تستقى معلوماتها من المصادر العمانية ، فهذه الأطروحة تميط اللثام عن عدد من الوثائق الهامة وتضم عرضاً للأحداث التى عاصرها المؤلف .

أما أطروحة كاتب هذه الرسالة فقد اعتمدت على مصادر أقدم ، والكاتب يود أن يغتنم هذه الفرصة ليقدم شكره وتقديره للمساعدة التى قدمت إليه عن كل من الدكتور باثر هرست والدكتور مارتن هندر ، اللذين يعتبران حجة فى المصادر الإباضية القديمة ،

كيفية استخدام المصادر – الشيخ سعيد الكدمى :

إن عملية جمع مصادر لمعرفة معلومات متناسقة عن أى مؤلف عمانى تعتبر مشكلة فى حد ذاتها كما سنبينه من الدراسات الآتية :

أن المؤرخ العمانى الذى يعرف (بكنيته) فى أغلب الأحوال هو أبو سعيد الكدمى — وهو بلاشك أبو سعيد محمد ابن سعيد الكدمى أو الكدامى ، كما ثبت من البحث عن هوية هذا المؤرخ الذى ينتمى إلى إحدى القرى الواقعة بين بلدتى الحمراء وبهلا . وتقع هذه القرية بالضبط فى منطقة تسمى ذات (الحيل) حيث يوجد ضريحه ، كما يذكر السلوقى فى « قاموس الشريعة » فصل ٨ ص ٣٠٧ أن عائله أبو سعيد ربما تنتمى أصلا إلى نفس تلك القرية التى كانت من القرى الهامة ذلك الزمن .

وكان أبو سعيد من أبرز رجال مدرسة نزوى السياسية ، ويقول عنه السالمى فى (اللمح ص٨٠) أن كتاب أبو سعيد مرجع هام وينم عن معرفة وثقافة واسعة ، تؤكدها كثرة الآراء والاستشهاد بها ، وتتحدث اللمح عن ثلاثة مؤلفات بارزه للعالم المذكور (١) المعتبر وقد حذافيه حذو ابن جعفر ، وقد ضاع هذا الكتاب ضمن ماتلف من المؤلفات فى حريق الرستاق كما أشرنا إلى ذلك آنفا ، غير أن أحد أجزاء هذا السفر التسعة لم تصبه النيران . ويشتشهد صاحب « قاموس الشريعة » كثيرا بهذا الكتاب ، ولكن باسم الكتاب دون ذكر اسم المؤلف ، (٢) مجلدان من مجموعة جوابات بعنوان زيادات الأشراف ، وهو على غرار كتاب ابن منذر النيسابورى .

أما عن تاريخ صدور هذا الكتاب فإن المصادر العمانية لاتضم أى معلومات مباشرة ، ورجال العلم يشيرون إلى اثنين من معاصريه ، لم يتم التوصل إليهما . غير أن هناك بعض الأدلة عن ذلك فى المصادر المغربية . ويشير البرادى فى فهرسه إلى كتابين من تأليف ابو سعيد العمانى : أحدهما هو بلاشك « زيادات الأشراف » ثم يستطرد هذا المؤلف فيقول ، إن الشيخ ابو العباس أحمد بن الشيخ سعيد (أى الدرجينى) يردد ذكر الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن بكر ، مما يدل على أن الأخير قد تلقى دراسته على يد ، ابو سعيد العمانى . وبموجب الترتيب الزمنى فإن أبو عمار عبد الكافى الذى استشهد به الدرجينى فى الطبقات كان فى الفترة الزمنية لهذا المؤرخ المغربى ، وهى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، وثمة تأكيد على الحد الأقصى للفترة الزمنية وهو استشهاد صاحب المصنف بلقب أبو سعيد أكثر من مرة .

المصادر الأولية :

من النصف الثانى من القرن التاسع حتى بداية القرن الحادى عشر تعددت الآراء حول قضية خلع الإمام الصلت ، وإن هذه الآراء كلها تدور حول ثلاثة فئات ، آراء المؤيدين لموسى بن موسى ، وآراء المعارضين ، ثم آراء المحايدين .

أما أصحاب الرأى الأول فقد تفرقوا منذ وقت مبكر ، بينما تحول أصحاب الرأى الثانى إلى مؤيدين لمدرسة الرستاق ، وتحول أصحاب الرأى الثالث إلى تأييد مدرسة نزوى ، غير أن هذا التبسيط للمشكلة يحجب فى الواقع ذلك الانقسام العميق بين مجموعتى علماء الرستاق وعلماء نزوى ، نظراً لأن الخلاف يرجع إلى أسباب أعمق من مجرد الأنقسام الثنائى فى مجمل الحركة الإباضية ، أى بين المتطرفين — الشراة وبين المستغلين لسلطان العصبية القبلية لتحقيق أغراض دينية ؛ وترجمة المواقف الدينية إلى قواعد مذهبية جامدة وبين المعتدلين — القعدة — الذين كانوا يحاولون منع رجال الدين من التورط المباشر فى السياسات القبلية وتشجيعهم إلى معالجة القضايا الدستورية بطريقة براجماتية ، أى عملية :

وبعد الحرب الأهلية العمانية غدا من الصعب الاحتفاظ بالمواقف المعتدلة خوفا من أن تعتبر خروجا على الشريعة ، وبخاصة وأن المتشددين أصبح لهم نفوذ سياسى ساحق منذ منتصف القرن الحادى عشر ، ولم تتراخ قبضتهم على مصائر الأمور إلا فى عهد الشيخ سعيد الكدمى ، حينما بدأ التيار المعتدل يشق طريقه إلى الوجود ، رغم أن هذا التيار كان موجودا دائما ، وقد نشط دعاته بعض الوقت فى النصف الأول من القرن العاشر وحققوا لهم بعض النجاح . ويبدو أن اصطلاح مدرسة نزوى و مدرسة الرستاق قد ظهر فى تلك الفترة

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
المكتبة
الرقم العام : ٢١٠
الرقم الخاص :

حزب نزوى الرئيسى :

أبو سفيان محبوب بن الرحيل

طوال أزمة الإمامة كان حزب نزوى يتخذ مواقف الاعتدال ، وكان أعضاؤه يؤيدون أباسفيان محبوب بن الرحيل (٢٦٠هـ/٨٧٣م) الذى ظل جزء من كتابه الرئيسى باقيا فى عهد البرادى . ولكى نفهم مدى نفوذ هذا العالم وتأثيره على الأحداث لابد أولا من التعرف على تاريخ أسرته .

صلة ابن الرحيل بمنابع الحركة الإباضية صلة قديمة تعود إلى باكورة الإسلام ، وحسب المصادر العمانية منذ كان جد هذه الأسرة وهو سيف بن جبيرة ، أحد فرسان النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحد أفراد قبيلة مخزوم بن كعب بن لؤى . وكانت هذه القبيلة معروفة فى عمان ، وإن كان الدرجينى لايؤيد هذا الرأى . وأيا كانت حقيقة تاريخهم القبلى ، فإن أفراد هذه الأسرة لم يحاولوا استغلال نسبهم القرشى لأغراض سياسية ، بل على العكس من ذلك فقد كانوا من غلاة المعارضين للإمامة الوراثية . ومن ناحية أخرى فإن أصل هذه الأسرة غير العمانى قد هيأ لهم الفرصة لاتخاذ موقف الحياد فى المنازعات القبلية ، كما أنهم بفضل من أنجبوهم من أساطين العلم ورجال الدين

تبوأوا مركزاً هاماً فى المجتمع العمانى. وكان لأحكامهم وآرائهم وزن فى الشئون السياسية . وكان جدهم الأكبر عبد الله من أتباع المذهب الإباضى، وهو ابو الشعثاء جابر بن زيد ، أما والده ابو سفيان فقد كان أحد أئمة المسلمين فى البصرة ، وقد خلف فى ذلك أبو أيوب وائل بن العرب الحضرمى ، وذلك بعد قيام الإمامة فى عمان مباشرة فى نهاية القرن الثامن بعد الميلاد ، ومن المحتمل أن تكون هذه الشخصية قد قامت بنشاط للدعوة فترة مبكرة من حياتها ، وأن يكون قد قام بتدريس المواد الدينية للعمانيين فى البصرة وتثقيفهم مذهبياً ، لكنه اعتزل العمل فى النهاية ، وأقام فى مدينة صحار بعد أن تقدمت به السن ، وبقى هناك حتى منتصف القرن التاسع على أقل تقدير ، كما أنه أصدر واحداً من أهم المؤلفات فى العلوم الإباضية وهو كتاب ابو سفيان، سجل فيه آراء العلماء الإباضيين الأوائل .

وكان أبو عبد الله يقوم شخصياً بنشاط سياسى خلال الأزمة التى نشبت حول تصرف الإمام مهنا بن جيفر (٢٢٦هـ/٨٤١م)- (٢٣٧هـ/٨٥١م) وقد أدخل بعض المبادئ الدستورية ، وهى المبادئ التى تبناها نجله بشير ، الذى كتب هو الآخر عدداً من المؤلفات الهامة بما فيها كتاب « المحاربة » .

وإن الإتجاه المعتدل لأفراد هذه الأسرة جعل لهم دوراً فى

عملية بعث الإمامة فى عمان نحو (٢٣٠هـ/٩٣٤م) ، وكان الرأى العام وقتها لا يزال حادآ مما حال بين القبائل و اتخاذ موقف موحد خلف أبى القاسم سعيد بن عبد الله (حفيد أبو عبد الله) ، ولسوء الحظ فقد لقى أبو القاسم مصرعه أثر مشاجرة (سنة ٣٢٨هـ ٩٣٩ / ٩٤٠م) وقعت فى مناق ، ومن الجائز أن تكون بعض مؤلفاته قد بقيت ، إذ استشهد السالمى ببعض الرسائل التى تبادلها المؤلف يوسف بن وجبه الوجيهى .

وعلى كل فإن هناك معلومات تمثل وجهة نظر أصحاب مدرسة نزوى مسجلة فى كتاب السيرة لأبى عبد الله بن روح ابن عربى من سكان سمد ، وقد كانت مدينة نزوى فى ذلك الوقت مركز الاتجاه المحايد من حيث بدأ أبو عبد الله ، نبهان بن عثمان فى محاولاته لإحياء الإمامة ، وذلك قبل أبى القاسم الرحيل ، وقبل أفراد أسرة كندة الذين كانوا يقيمون هناك .

الاتجاه الموالى لموسى ولمدرسة الرستاق :

أن الموقعين السياسيين المتعارضين حول عملية خلع الإمام الصلت ، واللذين تحتم على ذاك الشيخ المحايد أن يعالجهما ، وهما اللذان كان يدعو إليها العالم « الضرير » أبو المؤثر الصلت

ابن خميس ، وكان يمت بصلة قربى بالإمام المخلوع ، و الأصم ابن جعفر (أبو جابر محمد بن جعفر) الذى ينتمى إلى بلدة أزكى ، نفس موطن موسى بن موسى . وعلى الرغم من أن آراء الأخير لم تكن مقبولة من الرأى العام إلا أن ابن جعفر يعتبر من العلماء الذين يحظون بالاحترام ، وقد ظل متمسكاً بآرائه ومؤلفه الجامع ، المكون من ثلاثة مجلدات يعدمن المؤلفات الهامة فى علوم الفقه (شاخت فقرة ١٧) ومما يحتويه هذا الكتاب يمكن إعادة التوازن إلى الموقف ، و هو يستشهد بتوسع بوجهة النظر المحايدة الأصلية لأبى الحوارى ، محمد بن الحوارى ، الذى عاد فانضم إلى أصحاب مدرسة الرستاق ، ورفض تأييد إمامة الإمام راشد بن النظر وهذا التغيير المفاجئ فى الموقف يفسر ندرة المعلومات غير المتحيزة حول الأزمة الأصلية . ولعل الفضل يعود إلى جهود ابن جعفر فيما اقتبسه من معلومات من مؤلفات أحد أبرز المؤيدين المعاصرين لموسى ، ونعنى به الفضل بن الحوارى ، الذى ينتمى هو الآخر إلى قبيلة بن سما من سكان أزكى .

إن ما قام به دعاة مدرسة الرستاق من نشاط دعائى خلال الفترة المشار إليها كثير جداً . فقد كان لأبى المؤثر إنتاج غزير هذا الشأن . ونظراً لأن ابن المؤثر كان من المؤيدين للإمام الصلت سنة ٨٥١ بعد أزمة مهنا ، و أنه هو الذى أصدر القرار

بإتلاف و حرق ممتلكات القرامطة بعد طردهم من داخلية عمان في نحو الربع الأول من القرن العاشر ، إلا أن حياته النشطة قد دفعته إلى الانغماس في الخلافات وأعطت لآرائه وموافقه وزناً كبيراً .

وقد أصدر ابو الحوارى محمد بن الحوارى مجموعة آرائه في تلك المشكلة في شكل مؤلف تشريعي وكتاب سيرة كبير خاطب فيه أباضية حضرموت ، ومن مؤلفات السيرة الكثيرة التداول كتاب أبي قحطان خالد بن قحطان من سكان الحجر قلب موطن اليحمدية القبلى .

ومن العلماء المؤلفين البارزين بالنسبة للفترة المعاصرة للأحداث التي أدت إلى نشوب الحرب الأهلية اللغوى للعمانى المذاع الصيت ، ابن دريد ، الذى أمضى وقتاً طويلا في عمان ، خلال إمامة الصلت . وكان من المؤيدين المتحمسين لليحمدى ضد كتلة موسى ، وذلك رغبة في الثأر عن الهزيمة التي منيت بها هذه الكتلة في موقعة الروضة . ولقد تم جمع الجانب الأكبر من قصائده الحماسية ضمن دفة الديوان الذى صدر في القاهرة سنة ١٩٤٦ . وقد استفاد محقق الديوان محمد بدر الدين العلوى من نسخة كتاب المعونى التي صدرت في القاهرة والتي تضم جانباً كبيراً من سيرة ابن دريد .

ومن مولفات ابن دريد ذات الأهمية القبلية كتابه « الاشتقاق» الذى يضم بعض المعلومات عن الأنساب العربية والعلاقات التى تربط بين المجموعات القليلة .

ابن بركة وأبوالحسن البيسوى :

لقد تبلورت النظرية السياسية لأصحاب مدرسة الرستاق من خلال الجيلين التاليين من الكتاب العمانيين . وقد بلغ التعصب بأصحاب تلك المدرسة حداً دفع ارجلا كالسالمى إلى أن يقول عنهم « إن أهل الإيمان يستهجنون طريقتهم ويرفضون تعصبهم » وعلى الرغم من ذلك فقد كانت أهمية ذينك العالمين — ابن بركة ضريحه) أن المؤلفين يستشهدون بأقوالهم وآرائهم ويضعونها ضمن الفئات المعتدلة ، أمثال ابن الرحيل أبو القاسم سعيد ابن عبد الله ، ويعتبرونهم من المجموعات الأخيرة من حملة العلم .

ألف ابن بركة — أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة من بنى سلمى وكان يقيم فى بهلا معقل لليحمديين بنى خروص ، عدداً من كتب الفقه (وقد أشار ليويكى فى مقاله « ابن بركة » إلى تلك المؤلفات. ويتضح فيما يبدو مما ذكره للعوتبى أن « الجامع» هو أهم مؤلفاته كلها ،وتوجد منه نسخ كثيرة . وقد صدر

أحد أجزائه فى القاهرة تحت إشراف عيسى بن يحيى البارونى ١٩٧١ غير أن بعض مؤلفاته تعتبر هامة من الوجهة السياسية ، وعلى الأخص كتاب « الشرح » للجامع عن ابن جعفر ، وقد تطرق ليويكى إلى سيرته فى مقاله المشار إليه ، واعتمد فى كتابه المقال على سيرة ابن مداد . ولعله لم يكن مصيبا فى ذلك إذ من المحتمل أن يكون قد خلط بينه وبين محمد بن عبد الله بن محمد ، حفيد المؤثر الذى كان من أوائل المؤلفين الذين أيدوا إمامة الرحيل ؛ ويبدو أن الفترة الزمنية التى عاش فيها كاتبنا أبو محمد بن بركة هى النصف الثانى وليس النصف الأول من القرن العاشر . وكان أستاذه الأكبر الذى نقل عنه هو أبو مالك الغسان بن محمد بن الخضر الصلانى ، لعله واحد من الجيل الثانى لعلماء الرستاق .

أما تلميذه أبو الحسن على بن محمد بن على من قرية بيسه ، فإننا لانعرف إلا النزر اليسير عنه ، ويصفه ابن رزيق فى « الصحيفة القحطانية » بأنه كان من اليحمديين ، غير أنه لايشير إلى المصدر الذى أخذ منه تلك المعلومة ، وأهم مؤلفاته هو جامع أبى الحسن ، وقد صدر مقتطفات من الكتاب فى زنجبار سنة ١٨٨٦ بعنوان مختصر البيسوى ؛ وقد وضع ساشر دراسة عن هذا الكتاب ، كما كتب المؤلف عدداً من كتب السيرة بما فيها كتابه ، سيرة البيسوى تطرق فيها إلى الخلافات التى كانت ناشبة فى ذلك الوقت ، وقد

كان لايزال على قيد الحياة أثناء إمامة حفص بن راشد فى نصف القرن الحادى عشر .

ابو اسحاق ابراهيم بن قيس الحضرمى :

لايقتصر الأمر على الكتب التاريخية العمانية وحدها فى رفض ما كان ينادى به أصحاب مدرسة الرستاق من آراء متشددة ، فى ديوان أبو إسحاق بن ابراهيم الحمدانى الحضرمى آراء تعزز ذلك الموقف ، فقد كان أبو إسحاق على غرار والده زعيم للإباضية الحضارم ، الذين أعلنوا ولاءهم للامامة فى عمان عند عودتها تحت حكم الإمام الخليل بن شاذان الخروصى ، حفيد الإمام الصلت المخلوع ، فقد اعترف الحضارمة بإمامته ، ونجح أبو إسحاق بمساعدة العمانيين من توحيد بلاده التى كانت هى الأخرى نهبا للخلافات القبيلة .

وقد ظل أبو إسحاق على موقفه هذا فى الاعتراف بالإمام راشد بن سعيد الذى نجح فى طرد البويهيين من المنطقة الساحلية من عمان فى منتصف القرن الحادى عشر ، غير أنه بسبب موقفه المتشدد الذى كان يتخذه ذلك الإمام ، ونظراً لرفضه موقف الرستاقيين من الأحداث التى أدت إلى عودة الإمامة إلى البلاد قبل نحو قرن ونصف ، قطع كل صلة له بإباضى عمان ، وأعلن

نفسه إماما مستقلا فى حضرموت ، مما أدى فى النهاية إلى تدهور أحوال الإباضية فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وللتأكد من هذا الأمر يمكن الرجوع إلى ديوانه « السيف النقاد » (طبعة الكويت) والمصادر الإباضية تستشهد كثيراً بآراء هذا الكاتب إلى جانب المصادر السنية للقرن الثانى عشر (المتحف البريطانى) وبالأخص « مختصر الخصال » الذى تولى السالمى تلخيصه بعنوان « مدارج الكمال » القاهرة ، وهناك كتابه : « الدلائل والحج » الموجود حتى الآن .

العوتبى ونسبه :

لعل أهم وثيقة وصلت إلينا عن العوتبى هى كتاب « إنسان العرب » تأليف أبو المنذر سلمة بن مسلم أو (مسلم) العوتبى

ويرجع تاريخ جمع النسخ الباقية من هذا الكتاب إلى عام ١٧٠٣ أما نسخه البروفيسور تى . أم . جونستون من هذا الكتاب باسم جاعد بن خميس الخروصى (١٧٣٤ / ٥ — ١٨٢٢ مؤرخة سنة ١٦٧٨ دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهى مقتبسة من تعليق لأبى إسحق ابراهيم طفيش « تحفة الأعيان » ومقدمة لكتاب « الملاحن » لابن دريد . وهى كلها تعود إلى أصل واحد ، لكنها غير مستوفية للموضوع . ولسوء الحظ فإن الجزء الأكبر

من التاريخ العمانى يوجد مخلفات الكتب التى تؤرخ لمرحلة الأزد فى عمان ، والتى فقد الجانب الأكبر منها . ومن الواضح لأسباب كثيرة ، أن تلك النسخة ليست هى النسخة الأصلية ، على الرغم من أن العوتبى يهدف إلى وضع سيرة « الملوك » بداية من سنة ٣١٥هـ/٩٥٦ — ٩٥٧م إلا أن تاريخه عن عمان لايتعدى القرن التاسع ، ومن ناحية أخرى يضم كتابه سيرتى ابن بركة و أبو الحسن البيسوى (٣٣ و ٤٤) اللذين ينتميان إلى القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر . ويجوز أن نتصور والحالة هذه أن المرجعين الأخيرين إلى جانب الاقتباسات الأخرى من المصادر غير العمانية كالأندلس (لعله ابن حزم) والحربرى قد أضيفت إلى الكتاب فى فترة لاحقة ، لأن هناك بعض الأدلة المحلية تؤكد ، بأن العوتبى قد عاش قبل تلك الفترة بزمن قصير ، أى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وبداية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) الأمر الذى يستحق أن يوضع فى الاعتبار ، ومن المؤكد بأنه من المناسب أن نعتبر أبا المنذر سلمة بن مسلم بن ابراهيم (أو ابن عيسى بن ابراهيم) هو سلمة ابن سلم بن عيسى بن سلمة (مؤلف الضياء) الذى تورط هو وأخوه أحمد (بن عيسى بن سلمة) فى معركة الروضة سنة ٨٨٦ ، وبالتالى نعيد تاريخ كتاب الأنساب إلى بداية القرن الحادى عشر م .

ومن المحتمل أن يكون هناك خلط بين المؤلفين سلمه بن مسلم العوتبي (أبو إبراهيم وأبو منذر) فى مؤلفات سير العلماء الإباضيين وبالتالى فإن مؤلف « الأنساب » والذى ألف أيضاً كتابا آخر بعنوان « كتاب الإمامة » إنما كان حفيد مؤلف «الضياء» فى الفقه والشريعة فى ٢٤ مجلدا ، وقد صدر مختصر لهذا السفر تحت عنوان « كتاب النور » مما يوضح اللبس إيضاحا تاما . ولا يقتصر هذا التوضيح على ما جاء فى كثير من الألقاب . وفى بيان السالمى الوارد فى « اللمح » فحسب ، وإنما أيضاً من الأسلوب العلمانى للأنساب ! كما أن احتمال أن يكون المؤلفان هما شخص واحد احتمال وارد ، سيما وأن كتاب الأنساب يخلو من أى لقب .

أن الصلة النسبية لمسلم بن عيسى بن سلمه العوتبي مسألة حدسية ، ولهذه الأسباب فلابد من إضافة مزيد من الأصالة إلى شجرة نسب هذا العالم ، وإن كانت توجد أية شكوك حول صلته النسبية المباشرة .

وعن طريق تاريخ الأسرة استطاع مؤلفنا التوصل إلى معرفة العديد من القبائل التى اشتركت فى معركة الروضة ، وهى المعركة التى فجرت العصبيات القبلية التى أدت فى النهاية إلى تلك الكارثة. ومن هذه المعلومات يتضح أن أسرة العوتبى (التى استمدت لقبها

هذا من قرية فى مدينة صحار) كانت تحتل مركزاً سياسيا هاما فى عمان ، وقد سعت إلى كسب ود قبيلة عتيق سكان شمالى الباطنة ، وبعض فروع قبيلة مالك بن فهم لتأييد اليحمديين ، ولم تتضح الصلة القبلية بين هذه الأسرة وتلك القبائل ، وإن كان يبدو من كتاب أبو اسحاق ، مسلم الطائى العوتبى ، أن تلك الصلة قد جاءت عن طريق أحد فروع قبيلة عمران (ولسوء الحظ فإن ثمة فجوة هائلة فى كتاب الأنساب فى الفصل الذى يتناول هذه الجماعة الأزدية الهامة فيما يختص بالموضوع).

وعلى الرغم من الجهد الذى ساهمت به أسرة العوتبى فى دعم الإمامة اليحمدية فمن الواضح أن أسباب ذلك التأييد هى أسباب قبلية ، وليست أسبابا مذهبية ، كما كانت دافعا لتورط تلك الأسرة فى أزمة الإمامة مما يثبت تحرر المؤلف من أى تعصب أو نفاق سياسى ، كما هو الحال بالنسبة لغيره من رجال العلم .

وهذه الاعتبارات فى حد ذاتها تجعل من كتاب الأنساب وثيقة تاريخية هامة ، كما أن مؤلف تحفة الأعيان قد استشهد كثيراً بهذا الكتاب ، على أنه فى الوقت الذى اعتمد السالمى فى كتابه التاريخى على مصادر أخرى ، فإن مناقشة كتاب الأنساب تعتبر أمراً ضروريا للتعرف على الخلفيات القبلية التى تعتبر بدورها ضرورية لتتبع أحداث الفترة .

مصادر من النصف الثانى من القرن الحادى عشر ومن القرن الثانى عشر :

بعد نجاح العمانيين فى طرد المحتلين من المناطق الساحلية للبلاد فى منتصف القرن الحادى عشر وعودة الإمامة بشكلها الكامل ، أخذت عمان تدخل عهداً جديداً من الرخاء والاستقرار ، غير أن هذا التصور كان أقرب إلى الوهم منه إلى الحقيقة ، فقد تحول مسار التجارة الساحلية ، وبذلك انتهى العصر الذهبى لصحار ليفسح الطريق لقلهات لكى تحتل هذا المركز ، وبالتالى أصبحت الإمامة بالنسبة للحمديين الحق الذى لاينازع ، وهكذا نشب صراع بين علماء الجوف بزعامة كندة من سمد ، ونجادابن مرسى من منح .

ولقد افسح هذا الأمر الطريق للإمام راشد بن على اليحمدى لكى يعلن التوبة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م — ١٠٨٠ م ويعمل على تهدئة الأحوال :

وبعد مضى وقت قصير قام علماء الجوف بانتخاب مرشحهم الخروصى إماما على عمان ، وأعلنوا الثورة على راشد بن على فى الرستاق ، غير أنهم دمروا فى المعركة ، وسقط زعيمهم نجاد قتيلا (٤٩٦ و ٥١٣ / ١١١٩ م) وأعقب تلك الأحداث فترة من الاضطراب السياسى مما يدل على أن الخلاف كان بين رجال العلم وبين العناصر القبلية فى حزب الرستاق .

غير أن الصدام النهائى بين الطرفين قد وقع سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م) عند ما قام الزعيم اليحمدى الذى كان يطلق على نفسه حتى ذلك الوقت ، لقب الملك بإنزال الهزيمة برجال العلم ، الذين كان يتزعمهم حفيد نجاد بن موسى ، وبذلك قضى على الإمامة نهائياً . ولكن بنهاية القرن كان الملوك اليحمديون أنفسهم قد انهاروا أمام القوة الجديدة الصاعدة — النبهانيين — وبذلك أطبق عهد آخر على الإباضية فى عمان .

وبالرغم من كل ذلك فإن الإمامة الثانية كانت أشبه بالنيزك الذى لمع فهوى ، وإن كان قد أفرز مرحلة وضاءة من العصر الأدبى ، ولكن العلم هو الذى أشعل الفتيل ، لأن رجاله كانت تربطهم قضايا مشتركة بمعاصريهم فى الغرب الذين كانوا يعيشون فى ظل إمامتهم أكثر مما كانوا مرتبطين بمواطنيهم ، وكان خلع الإمام الصلت هو المحور الذى كانت تدور حوله كتاباتهم ، نظراً لأن ذلك الحادث كان يمثل النظرية التى تقوم عليها عقيدتهم بالنسبة للعلاقات الدستورية التى تربط بين الإمام والجماعة ، تماماً كما حدث إبان خلافة عثمان التى كانت منطلقا لوضع الأسس النظرية للدولة فى الإسلام ، وعلى عكس مدرسة الرستاق فقد كانت مدرسة نزوى تتخذ مواقف المهادنة والاعتدال من مسألة الوقوف (أى الامتناع) والتقية ، والأئمة الضعاف ، أو بالأحرى موقف الحد الفاصل بين الولاية والبراءة . ولهذا فإن أصحاب

هذه المدرسة لم يتركوا شيئاً مكتوباً عن الأحداث التى عاصروها ولذلك فقد فسرت الأمور كلها تفسيراً مجرداً (مطلقاً) : ومن المؤكد أن ثمة تعدد فى الآراء حول تولى حفص بن راشد الإمامة بغير انتخاب، وحول توبة الإمام راشد بن على ، غير أنه لاتوجد أدلة حقيقية أوتسلسل تاريخى للأحداث بعد خلع الإمام الصلت ، كما هو شأن التاريخ العمانى .

ولم نعثر فى المؤلفات عن هذا التاريخ على إشارة أو تلميح عن ذلك التاريخ بصورة تمكننا من تجميع بعض المعلومات عما كان يجرى فى عمان إلا بعد ما وقع الإنقسام بين القوى القبلية ورجال الدين فى حزب الرستاق ،وتم نشر رأى أصحاب مدرسة نزوى ، غير أنه يمكن معرفة الأحداث التى عاصرت تلك الحقبة من سير العلماء وليس مما ألفوه .

وينبنى على ذلك أن هذه الرسالة ستقصر مناقشتها لآراء تلك المجموعة من العلماء العمانيين الذين عاصروا الأزمة وصمدوا لها. وهناك أيضاً آراء علماء آخرين كمثل نجاد بن موسى ، كبير قضاة الرستاق الذى سبقت الإشارة إليه ، وأبو القاسم سعيد بن محمد ابن عبد الله الشجابى. ولعل مؤلفات هذين المؤرخين المجهولة أسماؤها قد عاشت لبعض الوقت ثم فقدت ولم يبق لها من أثر .

وواضح أن أهم كاتب عمانى ، إن لم يكن أهمهم جميعاً من جيل

تلك الفترة هو أبو سعيد الكدمى الذى سبق وأن ناقشنا مؤلفاته فى هذه الرسالة . وتنبع أهمية هذا المؤرخ أساساً من سمتين أساسيتين فى مؤلفاته :

أولا : أن تاريخ علماء مدرسة نزوى وأئمتها خلال القرن العاشر مدون فيها ، أو على الأقل مؤرخ فيها بصورة دقيقة .

وثانياً : أن تأثير أفكاره المعتدلة قد هيأت الفرصة لانتهاج تلك الطريقة المرنة فى معالجة القضايا الدستورية للإمامة ، وهى القضايا التى تميزت بها الحركة الإباضية فى باكورة عهدها ، ويعود الفضل أساساً إلى آرائه فى التغلب على الصعاب التى نجمت عن أحداث نهاية القرن التاسع وتحويلها لمصلحة عمان ، وفى الحفاظ على الإمامة كمؤسسة للحكم فى البلاد . ومن ثم فإن الفضل يعود إلى مرونة أصحاب مدرسة نزوى فى نجاح المنظرين الأباضيين فى تطوير نوع من نظم الإمامة التى تبلورت فى القرن الثامن عشر، وهيأت لهذه المؤسسة البقاء حتى منتصف القرن العشرين .

مدرسة الرستاق :

من الجلى أنه كان لآراء أبى الحسن بعض التأثير على علماء الرستاق من الجيل الأخير . وكان هؤلاء العلماء قد بدأوا حملة ضد الآراء المتطرفة السابقة ، وفضلاء ذلك فإن كافة العلماء

الذين ظهروا فيما بعد كانوا من نفس المدرسة المعتدلة مما يؤكد الأهمية التى تعزى إلى آرائهم :

علماء كندة :

لايبدو أن قبيلة كندة قد لعبت دوراً نشطاً خلال أزمة القرن التاسع عشر فى عمان . وإن كانت هناك أسباب تدعو إلى الإعتقاد أنهم كانوا منحازين أصلا إلى حزب موسى بن موسى . وفى القرن العاشر انضم هؤلاء إلى مدرسة نزوى الأولى التى كانت تتبنى موقفاً وسطاً إلأزمة السياسية التى كانت تواجه البلاد . وكان أحد أفراد هذه المدرسة ، وهو راشد بن الوليد ، قد خلف أبا القاسم الرحيل فى منصب الإمامة ، لكن بعد هزيمته فى الحرب مع البويهين فى نحو منتصف القرن تقريباً ، لم ينتخب أى إمام، إلى أن أعيدت الإمامة فى شخص الخروصى فى نحو ٤٠٧ هـ / ١٠٤٦ م .

ومن هنا يمكن أن نقول بأن أنصار كندة قد انضموا على ما يبدو إلى حزب الرستاق ابتداء من أواخر القرن الحادى عشر، واستمروا فى ذلك حتى القرن العشرين. وقد أنجب هؤلاء مجموعة من أبرز علماء عمان .

وتقول رواية إن أبرز الثلاثة منهم هم أحفاد سليمان ابن محمد بن عبد الله بن مداد ، إلا أن هناك أكثر من رأى عن نسبهم وتاريخهم بحيث يمكن القول على وجه التأكيد أن الثلاثة

المؤلفين البارزين كانت تربطهم صلة قرابة وثيقة ، وأنهم برزوا فى الفترة الواقعة بين الجزء الأخير من القرن الخامس هـ والحادى عشر م وبين منتصف القرن السادس هـ / والثانى عشر م وهؤلاء الكتاب وفقاً للترتيب الزمنى هم :

(١) محمد بن إبراهيم الذى يعتبر « البيان » بيان الشرع ، أهم كتبه و (٢) محمد بن موسى الذى ألف (الكفاية) من سبعين مجلد و (٣) ابو بكر احمد بن عبد الله الذى ألف « المصنف » من ٤١ مجلدا . وقد أتت النيران على النسختين الأصليتين فى « البيان » و « المصنف » فى حريق الرستاق الذى شب فى أوائل القرن الثامن عشر ، غير أن نسخة كاملة من « البيان» لا تزال توجد فى ميزاب ، كما يوجد فيها المجلد الرابع من كتاب « الوصية » لنفس المؤلف (شاخت فقرة ٢٢) ومن ناحية أخرى فإن النسخة الموجودة من المصنف نسخة غير كاملة (شاخت فقره ٢٧) ومن المحتمل وجود بعض نسخ من الكتاب فى عمان . أما عن تاريخ صدور « الكناية » فغير مؤكد لأن شاخت لم يشر إليه ، كما ذكر السيابى ، أنه أخفق فى العثور عليه فى عمان ، وعلى كل فنوجد بعض مقتطفات هامة من الكتاب فى عدد من المؤلفات .

ومن الوجهة السياسية يعتبر مؤلف المصنف أهم هؤلاء العلماء ، وقد كتب مؤلف المصنف بجانب هذا الكتاب الضخم ، ولعله

أهم المراجع التاريخية عن تلك الفترة ؛ عدداً كبيراً من المؤلفات بما فيها كتاب « الاهتداء » الذى يشرح الفرق بين جماعة نزوى وجماعة الرستاق ، وكتابه « سيرة البررة » الذى يدافع فيه عن أصحاب مدرسة الرستاق ، وهو مؤلف يعتبر هاماً من الوجهة التاريخية ، وقد استشهد به السالمى فى التحفة . وهناك تاريخان لوفاة هذا المؤرخ : ١١٤١هـ و ١١٦٢هـ ، وإذا افترضنا صحة أحد هذين التاريخين ، فإن كاتب هذه الرسالة يميل إلى الأخذ بالتاريخ الأخير ، نظراً لأنه يسبق ابن نزار والإمام محمد بن غسان . ومما يؤيد هذا التاريخ هو أن المؤلف كان من مؤيدى الإمام خنبش بن محمد الذى يعتقد أنه انتخب إماماً فى منتصف القرن الخامس هـ / الثانى عشر ميلادى .

ومن أصحاب مدرسة الرستاق أيضاً أبو بكر احمد بن سليمان ابن عبد الله بن أحمد الخضر بن سليمان من بلدة سمايل ، ويكنى بابن النظار . وهو من أسرة معروفة بالعلم ، وكان والده يشغل منصب قاضى قضاة دما . وقد ألف ابو بكر كتابين فى القضاء ، كما كان جده الأكبر الخضر (٥٣٠ / ١١٣٦) من علماء عمان البارزين .

وقبلياً ينتمى ابن النزار إلى إحدى المجموعات القبلية التى

كان لها نفوذ عند سقوط النظام القبلى القديم فى عمان وانحسار قوة اليحمديين . ومما له أهميته أن كلا من ابن النزلر ، وأبو سعيد الكدمى وابن مداد (الذين كان لهم نشاط سياسى ملحوظ خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر) ينتمون جميعهم إلى أصل قبلى واحد . وكان ابن النزلر نفسه زعيم أحد الأجنحة السياسية ، وكان مقره الرئيسى سمايل ، التى هى موطنه الأصلى أيضاً . وكان اصطدامه بخردلة بن سماح وتحديه لابتزازاته سبباً فى وفاته ، وذلك فى الوقت الذى بدا النبهانيون يظهرون على المسرح السياسى لأول مرة .

ومما يدعو إلى الأسف أن تاريخ حياة هذا المؤلف غير معروف ، وإن كنا نستطيع أن نقول بأنه عاش قبل تولى الإمام محمد بن غسان الذى نجح لبعض الوقت فى تحقيق الوحدة الوطنية ضد محاولات النبهانيين وحلفائهم أهل الإحساء . ويرجح المؤلف أن ذلك كان قبل القرن الخامس هـ / الحادى عشر م .

وعلى الرغم من أن ابن النزلر قد قتل وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، إلا أنه كما يبدو كان طفلا معجزة وقد ذاع صيته وهو لا يزال صغير السن أولا . كشاعر ثم كأستاذ وعالم . وقد تلفت أغلبية مؤلفاته فى الهجوم الذى تعرضت له

تمايل ، وإن كان بعض شذرات من كتابه « سلك الجمان فى سيرة أهل عمان » و « قراء البصر فى جمع مختلف الأثر » قد أشار إليها السالمى . ولحسن الحظ أنه بعد وقت قصير على وفاة ابن النظر عكف محمد بن وصاف على جمع قصائده وعلق عليها، وقد نال هذا الديوان الذى صدر بعنوان « دعائم الإسلام » شهرة كبيرة وتعليقات كثيرة أهمها تعليق (احمد بن عبد الله) من أهل أزكى فى القرن التاسع عشر ومحمد اطفيش .

الفترة العصيبة وأطلال المرحلة الجديدة :

بسقوط الإمامة الثانية دخلت عمان مرحلة يمكن تسميتها بالمرحلة العصيبة من زاوية النظر الإباضية . وعلى أية حال فإن ذلك لا يعنى أن تلك المرحلة كانت تتسم بالخطورة ، فعلى المنطقة الساحلية ازدهرت بلدة قلهات كمركز تجارى رئيسى فى المنطقة، غير أنه من خلال التطور الذى طرأ على الحكم وكنتيجة لنقل مقر الحكومة إلى هرمز ، تخلت الدولة عن المبادئ الإباضية إلا أنها عجزت عن بسط نفوذها إلى داخلية عمان رغم ما بذله الحكام من محاولات فى سبيل ذلك خلال القرن التاسع عشر .

ولقد أنجبت تلك المرحلة عالماً إباضياً بارزاً (ابو عبد الله) محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى . أما فى أى فترة تاريخية عاش هذا العالم فغير معروف (٢)، ومن المحتمل أنها كانت فى وقت مبكر

جداً من مرحلة الازدهار التى شهدتها قلهات خلال القرنين الثالث عشر والخامس عشر .

وعلى الرغم من أن كتاب « الكشف والبيان » الذى ألفه هذا العالم ونسج فيه نسج كتاب « الملل والنحل » يعتبر هاماً من وجهة المذهب الإباضى ، إلا أنه لا يشكل أية أهمية بالنسبة للناحية التاريخية ، ولم يتم العثور على مؤلفه فى تاريخ كلوا (السيرة الكلوية) ولا على مجموعة قصائده الشهيرة .

أما تاريخ عمان فى عهد حكم النبهانيين فيما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر فمجهول تماماً . وديوان الستالى (أبوبكر أحمد بن سعيد الخروصى) ٥٨٤ — ٦٨٦) ١١٨٨ — ١١٨٩ — ١٢٧٧ — ١٢٧٨) طبعة دمشق ١٩٦٤ يشير إلى أسماء أوائل الملوك النبهانيين الذين كانوا يحكمون البلاد من نزوى ، وعن بعض الصلات التى كانت تربطهم بشعوب ساحل الخليج. وهذا الديوان معروف للجميع .

أما بعد تلك الفترة فلا توجد أية معلومات عن تاريخ عمان

وأما حديث ابن بطوطة فليس أكثر من تعليقات اعتمد فيها على خليط من الإشاعات والحكايات التى كان يسمعها المؤلف من العامة خلال تجوله فى أسواق وطرقات البلاد . وعلى أية حال

فإن عدم وجود تاريخ مدون من تلك الحقبة من تاريخ عمان ، لا يعنى أن تاريخ أولئك الحكام لا يستأثر بأية أهمية . وإنما على العكس من ذلك فهناك أدلة قوية على أن عمان فى عهد النبهانيين قد شهدت فترة ازدهار وتألق . غير أن النبهانيين كانوا يحكمون داخلية عمان بأساليب تختلف عن أسلوب الإباضية ، وبهذا فقد اعتبروا جبابرة ، وبالتالى فلم يكن لهم دور فى تاريخ عمان ، كذلك فإنه لما كانت قائمة العلماء تضم أسماء كثيرة من المؤرخين والعلماء بعد عبد الله عثمان من سكان قرية جرمة تى نزوى وتعرف بالقسم ، فإنه لا يبدو أن شيئاً من مؤلفاتهم وأعمالهم قد بقى ، وبالتالى ليست لهم أهمية تاريخية تذكر .

ويمكن أن نسمى تلك المرحلة مرحلة المخاض ، وهى المرحلة التى أفرت نظاماً جديداً فى عمان . وكما أن الصورة القبلية قد تغيرت ، كذلك تغيرت الحركة الإباضية نفسها بالتداعى وولدت فى شكل جديد . وإن تشدد أصحاب مدرسة الرستاق الذين كان دعاتها يوصفون « بفقهاء الإباضية » ، قد أثار معارضة العناصر المعتدلة حتى إن بعض أبرز علماء عمان بدءاً بأبى سعيد الكدمى حتى أول رجل فى أسرة ابن مداد ، لم يكونوا يعتبرون أنفسهم أتباعاً للمذهب الإباضى الذى غدا أكثر ارتباطاً بمجموعة قبلية معينة ، رغم أنهم ظلوا على ولائهم لنظام الإمامة .

وهكذا فإن المحاولات الأولى لإحياء الإمامة فى الجوف خلال القرن الخامس عشر كانت سابقة لأوانها ، الأمر الذى اضطر الملوك النبهانيين إلى طلب التأييد من أهل الاحساء ، حتى يحافظوا على نفوذهم ، ولقد كانت هذه المحاولة — وليس أية يقظة روحية — هى التى أدت فى نهاية الأمر إلى نوع من رد الفعل القومى ، مما دفع المجموعات القبلية من سكان وسط عمان إلى الالتفاف حول الإمام ناصر بن مرشد الذى انتخب من أحد الفروع القبلية الثانوية من النبهانيين ، وهو الفرع اليعربى وذلك فى محاولة لطرد الأجنبى من البلاد .

وهكذا ابتداء من القرن الخامس عشر توفرت مصادر جديدة لإلقاء الضوء على عودة الإمامة الإباضية الى عمان . ومنذ ذلك الوقت لم يعد موضوع خلع الإمام الصلت الموضوع الرئيسى ، وإنما هو بعث الجماعة الإسلامية الحقيقية ، ووضع دستور جديد للإمامة . وهكذا وبعد ثمانية قرون انتصر الجناح المعتدل فى الحركة الإباضية ، ومن ناحية أخرى فإن الدافع الفعلى لتوحيد الدولة الإباضية قد جاء من الرستاق :

سلطنة عمان
وزارة التراث القومى والثقافة
المكتبة
الرقم العام : ٢١٠
الرقم الخاص :

راجعه وأشرف على طبعه الأستاذ عبد المنعم عامر

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٣٥٥ لسنة ١٩٨٠

مطابع سجل العرب
٩ شارع عماد الدين / القاهرة ت ٩٣٢٧٠٦

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي
المكتبة
الرقم العام : ٢١٠
الرقم الخاص :